الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمـي
جامعة عباس لغرور –خنشلة–

كلية الآداب واللغات
قسم: اللغة والأدب العربي
شعبة: دراسات لغوية
تخصص: لسانيات عامة

حجاجية الصورة البيانية في الحديث القدسي

–نماذج مختارة–

بحث مقدم لقسم اللغة والأدب العربي لاستكمال مواد شهادة الماستر 2

إعداد الطالبتين:
- ريان مباركي
- راضية صاولة

إشراف الدكتورة:
–زينة براهمية

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الجامعة الأصلية	الصفة
صورية جغبوب	عباس لغرور –خنشلة–	رئيسا
السعيد قاسمي	عباس لغرور –خنشلة–	مشرفا ومقررا
عبد الجبار علوي	عباس لغرور –خنشلة–	مناقشا

السنة الجامعية 2023 –2024

شكر وعرفان

بعون الله وتوفيقه بحقبة عام كامل، وجهود مضت أكملت المذكرة، فالحمد لله حمدا كثيرا يليق بجمال وجهه وعظيم سلطانه، له الثناء والشكر، كما نغتنم الفرصة للتقدم بجزيل الشكر إلى الدكتورة المشرفة **"زينة براهمية"** حفظها الله ورعاها وجعلها دوما نبراسا للعلم والمعرفة.

كذلك أتقدم بخالص شكري وتقديري للدكتور: **السعيد قاسمي** لما قدمه من جهد ساعدني في مواصلة البحث فجزاه الله عني الخير والعافية

الشكر الجزيل إلى كل من علمنا حرفا إلى كل من كان سببا فيما نحن عليه، جزاهم الله خيرا، وأبقاهم شعلة لنور العلم.

كذلك الشكر الجزيل إلى كل من أعاننا حتى ولو بدعوة في انجاز هذا العمل، سائلين المولى عز وجل التوفيق والسداد، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة سيد خلق الله أجمعين

مقـدمــة

مقدمة:

يعتبر الحجاج من بين أهم الآليات التي تعتمدها النظرية التداولية في بحثها عن حقيقة اللغة والتي أنتجتها الدراسات اللسانية الحديثة في الحقل التداولي، وقد كان للبلاغة العربية إسهاما وفضلا كبيرا في هذا المجال، مما جعل الدراسات اللسانية الحديثة وخاصة العربية منها تتكؤ عليها من أجل الوصول إلى حقيقة اللغة وتفسير الغرض.

مع مطلع العصر الحديث، سعت التداولية إلى تسليط الضوء على بعض الجوانب الحجاجية التي تراها آلية حقيقية للإقناع، مستثمرة في ذلك مختلف الوسائل البلاغية، كالكناية، الاستعارة، التشبيه، والتعامل معها بمنظور حديث يتوافق مع ما يقتضيه التطور اللغوي الحاصل في المجتمع، فبتظافر كل من الدراسات البلاغية العربية القديمة والدرس التداولي الحديث من أجل تفسير مقاصد الكلام والبحث عن الآليات الإقناعية التي من خلالها يتحقق الغرض من اللغة الذي هو الأثر الذي يُترك في المتلقي، وذلك بإبراز مدى قدرة الصورة البيانية على بلورة الحجة والإقناع من وجهة نظر تداولية حديثة.

ذلك لأن نظرية الحجاج هي التي تبحث في آليات ووسائل الإقناع انطلاقا من الحجج والبراهين التي تقدمها، فهي ممارسة فكرية يعتمدها المتكلم للتأثير على المتلقي بغية إقناعه وتغيير سلوكه، إذ تعد هذه النظرية ركيزة الخطابات والنصوص التي نسعى إلى تحقيق أثرها الإيجابي وتنفيذ مقصديتها.

ومن بين هذه النصوص الخطابية نجد الحديث القدسي الذي يعتبر مادة دسمة ومناسبة للمقاربة الحجاجية والذي يندرج ضمن الخطابات الدينية التي تبحث على تحقيق غرضها الإقناعي من أجل الانصياع والتنفيذ.

ومن هنا كان موضوع البحث **حجاجية الصور البيانية في الحديث القدسي (نماذج مختارة)** إذ حاولنا من خلاله الإجابة عن الإشكالية الرئيسة الآتية:

ما حظ الحديث القدسي من الصور البيانية، وماهي الأساليب الحجاجية التي من خلالها تتحقق أغراضه التبليغية؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية الرئيسة مجموعة من الإشكاليات الفرعية تتمثل في :

ما طبيعة هذه الصور؟ وما هي أبعادها الحجاجية؟ وهل يمكن للأساليب البلاغية ان تدعم طاقة القول الحجاجية وتثبت قدرته على الإقناع؟ هل هذه الآليات توضح المعنى وتجسده وتجعله قريبا من الأذهان من أجل تحقيق الغرض الأسمى الذي هو الاقتناع والممارسة؟

ولعل من أهم **الأَسباب** التي جعلتنا نبحث في هذا الموضوع:

- الرغبة الملحة في اقتناص فرصة لطالما انتظرناها لدراسة الحديث القدسي.
- قلة الدراسات في هذا المجال – حسب اطلاعنا–خاصة ما تعلق بالحجاج في الحديث القدسي.
- نظرا لأهمية الحديث النبوي عامة والحديث القدسي خاصة اخترانا التطبيق في الأحاديث القدسية لأنها تعد من أعرق النصوص وأقدسها وأفصحها، إذ تمتاز ببناء لغوي محكم زاخر بالسمات التداولية خاصة الحجاجية منها، والتي يتفاعل معها المتلقي في مختلف الموقف التواصلية.
- التعريف بالصورة البيانية في الحديث القدسي وتبيان أثرها الحجاجي والإقناعي.
- أهمية موضوع الحجاج كونه أحد أهم العناصر اللغوية في الحديث القدسي.

وتتحدد أهداف هذا الموضوع فيما يلي:

- التعرف على أهم مفاهيم الحجاج والحقول المعرفية التي تناولته من خلال الوقوف على تاريخه قديما وحديثا عند العرب والغرب.
- الكشف عن بلاغة الصورة البيانية في الحديث القدسي واستخراج طاقتها الحجاجية التي من خلالها تظهر قوة الإقناع والتأثير وحمل المتلقي على الإذعان والتصديق والتسليم والتطبيق.
- إبراز أهمية الحديث القدسي باعتباره نموذجا حجاجيا راقيا يصنع الرأي ويوجه الإرادة.

وتنبع أهمية هذا الموضوع في كونه يتناول قضايا دينية ودنيوية مجسدة في الأحاديث القدسية قصد تبليغ تشريعاتها الربانية وتقرير أحكامها الإلهية لتكون دستورا للحياة من خلال إيضاح البعد التأثيري الإقناعي للصورة البيانية في الحديث القدسي.

أما عن الدراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع – حسب اطلاعنا – نجد:

- مذكرة ماجستير بعنوان الأحاديث القدسية دراسة بلاغية لطالبة مروة إبراهيم شعبان قوتة (الجامعة الإسلامية –غزة عماد الدراسات العليا كلية الآداب قسم اللغة العربية)

حيث أن كل الدراسات التي وقعت بين أيدينا وجدناها تعالج الموضوع من الناحية البلاغية فقط، فأردنا في هذا البحث أن نتطرق إلى جانب نراه مهما من أجل مواكبة الدراسات اللسانية المعاصرة، ألا وهي دراسة الحديث القدسي من منظور حجاجي والبحث عن الأساليب والأدوات الإقناعية التي يحملها موضوع الدراسة (الحديث القدسي)

وقد تطلبت طبيعة البحث إتباع **المنهج الوصفي التحليلي** لأننا نراه هو الأنسب لهذا النوع من الدراسة.

تقوم هذه الدراسة على خطة ارتأينا أن تتجسد في مدخل وفصلين أحدهما نظري والآخر تطبيقي، تسبقهما مقدمة، وتليهما خاتمة، على النحو التالي:

مدخل موسوم ببلاغة التعبير النبوي، حاولنا من خلاله تبيان أسلوب التعبير النبوي والتصوير في الحديث النبوي، وكذا مفهوم الحديث القدسي والفرق بينه وبين الحديث النبوي والقرآن الكريم.

أما الفصل الأول: **فيخص الجانب النظري** وهو بعنوان **الحجاج وآلياته البلاغية** وقد قسمناه إلى أربعة مباحث تناولنا في **المبحث الأول مفهوم الحجاج لغة واصطلاحا**، حاولنا من خلاله تبيان الدلالة اللغوية للحجاج في المعاجم والقواميس وكذا الدلالة الاصطلاحية، ثم ألحقناه **بمبحث ثانٍ** جاء بعنوان **الحجاج في الدراسات العربية والغربية قديما وحديثا**، وفي **المبحث الثالث** الذي جاء معنونا بـ **أنواع الحجاج** بينا فيه أنواعه بحسب الصفة (حجاجي بلاغي، فلسفي، تداولي) ومن حيث حالات الخطاب (تقويمي، توجيهي، تجريدي)، ثم

المبحث الرابع الذي جاء معنونا بـ **الأليات البلاغية الحجاجية** والذي تناولنا فيه الصورة البيانية عند القدماء والمحدثين وأقسامها(استعارة، تشبيه، كناية) .

أما **الفصل الثاني** فقد خصص للجانب التطبيقي بعنوان **حجاجية الصورة البيانية في الحديث القدسي** حيث قمنا باستخراج أهم الصور البيانية الواردة في الحديث القدسي وتحليلها وإبراز حجاجيتها وأهميتها في الإقناع وحمل المتلقي على الإذعان للأفكار.

وقد قسم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث: **المبحث الأول: حجاجية الاستعارة** أما **المبحث الثاني: حجاجية التشبيه، والمبحث الثالث: حجاجية الكناية.**

وأخيرا ذيلنا البحث بخاتمة أوجزنا فيها أهم النتائج والملاحظات التي توصل إليها البحث.

وقد استندنا في إثراء عملنا هذا **بمراجع ومصادر** أهمها:

- جامع الأحاديث القدسية لأبو عبد الله عصام الدين الصبابطي.
- شرح الأحاديث القدسية على الاتحافات السنية لمحمد منير الدمشقي.
- الصحيح المسند من الأحاديث القدسية لمصطفى بن العدوي.

وبعض أمهات الكتب أهمها: لسان العرب لابن المنظور، والقاموس المحيط للفيروز آبادي، دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة للجرجاني، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع لأحمد الهاشمي، اللغة والحجاج لأبي بكر العزاوي، اللسان والميزان لطه عبد الرحمن.

بالإضافة إلى مقال حجاجية الصورة الفنية في الحديث النبوي لحورية عميروش

أما من بين أهم الصعوبات التي واجهتنا كأي بحث علمي نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- قلة المراجع العربية الحديثة التي تتناول موضوع الحجاج خاصة في مجال الحديث القدسي التي قد تساعدنا في بحثنا هذا. لذلك كان لابد من العودة إلى مجموعة من كتب التفسير الحديثة التي تجمع خلاصة ما في التفاسير القديمة وتزيد عنها لتسهيل التعامل مع الخطاب النبوي الذي يفرض على الباحث توخي الحيطة والحذر مع تراكيبه ومعانيه لأنه نص مقدس يصعب تأويله.

- عدم وجود دراسات حول حجاجية الصورة البيانية في الحديث القدسي خاصة.

وفي الأخير نرجوا أن يضيف هذا العمل المتواضع لبنة للبحث العلمي في مجاله.

ولا يسعني في الأخير إلا أن نشكر **الدكتورة براهمية زينة** التي تشرفنا بإشرافها على موضوع هذا البحث والتي لم تدخر جهدا في التوجيه والنصح والمساعدة، وكذا حرصها على متابعة العمل منذ أن كان فكرة فمشروعا فبحثا مستويا.

كما نتقدم بخالص الشكر وجليل الامتنان وفائق التقدير وكامل الإحترام **للدكتور السعيد قاسمي** الذي لم يبخل علينا بالنصح والإرشاد في إنجاز هذا العمل وكذا **الدكتور رابح بوشعشوعة** على توجيهاته ونصحه.

كما لا يفوتنا أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى أعضاء لجنة المناقشة الموقرة التي بذلت جهدا في تصويب ما يمكن له أن يجعل هذا البحث مكتمل الأركان عله يكون عونا لمن يبحث في هذا المجال، وما وجوده اليوم أمامنا إلا دليلا على ذلك .

وأخيرا نرجوا أننا قد حققنا ولو قليلا مما كنا نصبوا إليه من خلال هذه الدراسة، فما كان من صواب فهو من الله وما كان من زلل فمن أنفسنا ومن الشيطان والله نسأل السداد والتوفيق .

مدخل:

بلاغة التعبير النبوي

1- أسلوب التعبير النبوي:

تميز أسلوب الرسول صلى الله عليه وسلم بالانفراد عن سائر أساليب البشر المعروفة، فهو متميز بقوته وشرف كلامه الناجم عن العصمة إذ أوتي جوامع الكلم، والإحاطة باللغة وفصل الخطاب، وروعة البيان وصدق الحديث، وقوة الحجة، فكان خطابه رسالة إبلاغيه تحمل إلى الناس مقاصد الشريعة وغايات العقيدة الصحيحة، قوامه الحجة المقنعة، والبرهان المفحم للخصم، والجمال المؤثر في النفس والقلب ومن أهم خصائص الأسلوب النبوي:

أ- **الجزالة والوضوح:** الجزالة والفخامة في الكلمات والوضوح في الدلالة، والخلوص من كل بشاعة او عيب، فقد جمع صلى الله عليه وسلم في كلامه بين الجزالة والبداوة وفصاحتها، ورقة الحضارة وعذوبتها، لذلك جاء كلامه جزيلا في رقة، متينا في عذوبة،[1]

ب- **البعد عن التكلف والتجديد:** فكلامه سهل مبسط يفهمه كل أحد، بل كان ينهي عن التقعر في الكلام، والغريب الذي يتكبر من خلاله[2] فلا تنميق في ألفاظه وعباراته بل هي تناسب إلهاما من الله تعالى، والفطرة اللغوية والبصر الحاد كل هذا ساعده صلى الله عليه وسلم ليتصرف باللغة كيفما شاء فكان كلامه آية الجودة والسحر الحلال.[3]

ج- **دقة الوصف:** كان صلى الله عليه وسلم يجمع بين الوصف والخيال دون الإطالة معتمدا على التصوير والتشبيه المحكم، فكان وصفه صلى الله عليه وسلم يجمع شروط الجودة كلها الذي يظهر لنا فيه الموصوف بأوضح صورة وأوجز عبارة.[4]

كوصفه مثلا لنعيم الجنة **فيقول صلى الله عليه وسلم:** «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لاَ يَبُولُونَ وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ، وَلاَ يَتْفِلُونَ وَلاَ يَمْتَخِطُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الأُلُوَّةُ

---

[1]- البيان النبوي وأثره على علوم العربية قبل القرن السابع الهجري: سعد فجحان الدوسري، حوليات كلية أصول الدين، جامعة الكويت، ع 33، ص 1688.

[2]- المرجع نفسه، ص، 1688.

[3]- الحديث النبوي مصطلحه بلاغته كتبه: محمد الصباغ، المكتبة الإسلامية بيروت، ط 4 ،1981، ص 70.

[4]- المرجع نفسه، ص 81.

الأَنْجُوجُ، عُودُ الطِّيبِ وَأَزْوَاجُهُمُ الحُورُ العِينُ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ، سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ».[1]

د- **التصوير:** إذ موهبته القدرة على التصوير الواقعي الخيالي الخصب ذا وفرة بالصور الجميلة الدالة على أنه صلى الله عليه وسلم مهتم بالمخاطبين فكان يعبر عن المعنى المجرد بالصورة الحسية المستمدة من حياتهم، فاستعمل التشبيه ليقرب المراد إلى الفهم ويوضح الموضوع، وكذا الاستعارة والكناية المهذبة والمجاز البليغ فمثلا شبه الرسول صلى الله عليه وسلم المرأة بالضلع الأعوج فإن حاول الإنسان أن يجعله مستقيما انكسر ذلك الضلع.[2]

هـ- **الموسيقى:** كانت حلوة رائعة في حديثه صلى الله عليه وسلم عذبة تنساب في الأذهان بحلاوة ذات إيقاع محبب يتجلى في التعاطف بين الألفاظ والمعنى الذي تصوره الموسيقى وتقربه بشكل تمثيلي كقوله صلى الله عليه وسلم « إنَّ اللهَ يقبَلُ توبةَ العبْدِ ما لم يُغرْغِ » فيغرغر بمعنى صوت من كان يعالج الموت في حنجرته، إضافة إلى الانسجام في أصوات الحروف وإيقاعها الذي ينساب على اللسان انسيابا وترتاح الأذن لها فقوله مثلا: « حفت النار بالشهوات وحفت الجنة بالمكاره » فهذا الكلام فيه انسجام صوتي وسهولة النطق والأُنسة في وقعه على السمع.[3]

كما أن المقابلة والسجع والموازنة تخلق جوا موسيقيا في الكلام كقوله صلى الله عليه وسلم «بسمِ اللهِ توكَّلتُ على اللهِ اللَّهمَّ إنّي أعوذُ بك أن أضِلَّ أو أُضَلَّ أو أزِلَّ أو أُزلَّ أو أظلِمَ أو أُظلمَ أو أجهَلَ أو يُجهلَ عليَّ»

---

[1]- صحيح البخاري: أبو الحسن عبد الله بن إسماعيل البخاري، ج 3، دار التراث العربي، بيروت (د، ط)، 1839، ص 241.

[2]- الحديث النبوي مصطلحه بلاغته كتبه: مرجع سابق، ص 72.

[3]- المرجع نفسه، ص 92.

كما يتميز الحديث النبوي بأسلوب **الحوار** الذي يضفي على النص الأدبي الجميل ويدفع الملل والشرود، ويشد الانتباه إليه لكونه يعتمد التركيز والإيجاز.[1]

2- التصوير في الحديث النبوي:

اعتمد النبي محمد صلى الله عليه وسلم في توجيه المسلمين توجيها أخلاقيا وتربويا وعقائديا على طرق متعددة منها: التعبير بالصور البيانية وغيرها من الطرق من أجل التأثير والإقناع لتخلق انفعالا لدى المتلقين، وخاصة أن الصورة البيانية لها بعد حجاجي استدلالي والذي يدفع إلى التأويل واستنباط الدلالات الخفية، ذلك أن ما يستخدم من تمثيل وتشبيه مبنى على أسلوبي الترغيب والترهيب القائمين على القيم الأخلاقية، فهو يعمل على إقناع المكلفين بالأحكام وإحداث تغيير في عقيدتهم وأخلاقهم ومعاملاتهم من خلال ما يجتهد في إيضاحه لهم من محاسن دعوته ومساوئ ما هم فيه من وثنيتهم ولعل واقعهم الأخلاقي والثقافي وأحوالهم النفسية خير دليل لإقناعهم بفحوى الخطاب فيذعنون له فالاستمالة النفسية بتحبيب الشيء أو التنفير منه هي من وظائف الحجاجية للصورة البيانية.[2]

فحديث النبي صلى الله عليه وسلم غني بألوان التصوير والبيان والمجاز وقد استخدم صلى الله عليه وسلم الكناية، التشبيه، الاستعارة وغيرها من الأساليب وإن وفرة الصور الجميلة لتدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يؤثر التعبير عن المعنى المجرد بالصورة الحسية المستمدة من حياة المخاطبين لأن ذلك أدعى إلى أن يفهموا مراده ويتأثروا به ولأن الصور البيانية تزيد في قيمة الأثر الأدبي وترفع من شأنه وتكسوا المعاني في أبهة وتضاعف قواها في تحريك النفوس لها.[3]

---

[1]- الحديث النبوي مصطلحه بلاغته كتبه: مرجع سابق، ص، 96.

[2]- حجاجية الصور الفنية في الحديث النبوي: حورية عميروش، دراسات لسانية، جامعة الجزائر، ع08، مج 2، مارس 2018، ص 366.

[3]- المرجع السابق، ص73.

ومن بين طرق التصوير في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم

أ- **التصوير بالاستعارة:** فالاستعارة من الصور البيانية الراقية التي تزيد من جمالية الخطاب وتقوية المعاني وتأكيدها وقد استعملت في الحديث النبوي بنوعين: التصريحية والمكنية، وذلك لما تقتنيه من المعاني الكثيرة بأسلوب وجيز، سعيا لتوضيح معاني الدين الإسلامي واستخدمت كذلك من أجل الإقناع والتأكيد ومن تجليات استعمال الاستعارة في الحديث النبوي ما روي عن أنس بن مالك أنه قال: **(كانَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في مَسِيرٍ له، فَحَدَا الحَادِي، فَقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ارْفُقْ يا أنْجَشَةُ، ويْحَكَ بالقَوَارِيرِ)** قال ابن حجر في شرحه: قوله بالقوارير في رواية هشام عن قتادة رويدك سوقك ولا تكسر القوارير وزاد حماد في روايته عن أيوب قال أبو قِلابة يعني النساء... وقال الرامهرمزي كنى عن النساء بالقوارير لرقتهم وضعفهن عن الحركة.[1]

ب- **التصوير بالتشبيه:** فحديثه صلى الله عليه وسلم غني بالتشبيه وذلك لما للتشبيه من أثر في النفس ودور في إيضاح المعنى وبيان الفكر وقد تنوعت التشبيهات في البيان النبوي وجاءت الأحاديث الشريفة حافلة بالصور التشبيهية، وقد استعملت هذه الصور الغنية بشتى أنواعها من تشبيه بليغ وتمثيلي وبذكر الأداة دون ذكرها، وهناك الكثير من الأحاديث التي تضمنت التشبيه أما الأمثلة على التشبيه فما أكثرها وما أكثر ما نجد في الحديث من تشبيهات خالدة رائعة منها في موضوع تأثر مجموع الأمة بأفعال بعض الأفراد وضرورة وضع حد لحرية الفرد حتى لا يسيء إلى الآخرين ووجوب التناصح والتآمر بالمعروف والتناهي عن المنكر وردع الآثمين المجرمين والأخذ على أيديهم ، "نجو ونجوا جميعا"[2]

[1]- بلاغة الصور البيانية في الحديث النبوي قراءة في نماذج من صحيح البخاري: شهيرة برباري، مجلة إشكالات في اللغة والادب، الجزائر، ع2، مج 12، يونيو 2023 ص 452.

[2]- الحديث النبوي مصطلحه بلاغته كتبه، مرجع سابق، ص 96-97.

ج- **التصوير بالكناية:** لها دور في تحسين وتلطيف الكلام يكمن دورها في تأكيد الشيء وإثباته ولقد أسهمت الكناية في بناء الصور البيانية في الحديث الشريف وتنوعت مظاهرها فكان منها التلويح والإشارة والرمز، فقد كان لها الأثر الواضح القائم على دقة استعمال اللفظ في موضع الإشارة والتلميح تارة، وفي مجال التأثير النفسي تارة أخرى، وقد شكلت الكناية لدى الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه نمطا متميزا يلجؤون إليه كلما أرادوا إحاطة تعبيرهم بهالة من الفخامة والبلاغة ومنحه طابعا من الوقار والاتزان فضلا عن تصويرهم المعنى وتقديمه في أحسن معرض قد تعجز الأساليب الأخرى عن أدائه.[1]

ومن تجليات الكناية في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم: (كانَ ابنُ عُمَرَ لا يَأْكُلُ حتَّى يُؤْتَى بمِسْكِينٍ يَأْكُلُ معهُ، فأدْخَلْتُ رَجُلًا يَأْكُلُ معهُ، فأكَلَ كَثِيرًا، فَقالَ: يا نَافِعُ، لا تُدْخِلْ هذا عَلَيَّ؛ سَمِعْتُ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقولُ: المُؤْمِنُ يَأْكُلُ في مِعًى واحِدٍ، والكَافِرُ يَأْكُلُ في سَبْعَةِ أمْعَاءٍ).

ولقد اختلف في معنى الحديث فقيل: ليس المراد به ظاهره وإنما هو مثل ضرب المؤمن وزهده في الدنيا والكافر وحرصه عليها، فهي صورة بديعة يبدو فيها المعنى وراء الألفاظ الدالة في ظاهرها على الأكل قلة وإكثارا، لندل كناية عن صفة هي الزهد في الدنيا والاستكثار منها.[2]

[1]- الكناية في الحديث النبوي الشريف في صحيحي البخاري ومسلم: عمار إسماعيل أحمد، دار الكتب العلمية، (د، ط)، 2020، ص30.

[2]- بلاغة الصورة البيانية في الحديث النبوي: مرجع سابق، ص 454.

3- في بيان مفهوم الحديث القدسي:

3-1-تعريف الحديث القدسي لغة واصطلاحا:

أ- **الحديث: لغة:** جاء في العين للخليل (ت 170 هـ) في مادة حدث "يقال صارَ فلان أُحدوثة: أي كَثَّروا فيه الأحاديث، وشابٌ حَدَثٌ وشابَّة حَدَثة: فتيّة في السِّنّ... والأُحدوثة: الحديث نفسه، والحديث: الجديد من الأشياء ورجل حِدْث: كثير الحديث.[1]

ويعرفه ابن فارس (ت 395 هـ) في معجم مقاييس اللغة بقوله: «الحاء والدال والثاء» أصل واحد وهو كون الشيء لم يَكُنْ، يقال حدث أمر بعد إن لم يَكُنْ... والحديث من هذا، لأنه كلامٌ يَحْدُثُ منه الشيء بعد الشيء، ورجلٌ حدثٌ: حسن الحديث.[2]

وجاء في لسان العرب بمعنى «حدث أمر: أي وقع، والحَدِيثُ: الْجدِيدُ مِنَ الأَشْياءِ، والْحدِيثُ الخَبَرُ يَأْتِي على الْقَلِيل والْكَثِيرِ، وَالْجَمْعُ أحادِيثُ، وَمَصْدَر حَدَّثَ إِنَّمَا هو التَّحْدِيثُ، فأَمَّا الْحدِيثُ فَلَيسَ بَمَصْدَرٍ، وقوله تعالى «وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ» الضحى 11، أي بلغ ما أرسلت به، وحدَّث بالنبوة التي أتاك الله وهي أجل النعم»[3]

تبين لنا من خلال هذه التعريفات أن الدلالة اللغوية لكلمة الحديث تحيل إلى عدة معاني:

- بمعنى الجديد الذي نقيضه القديم

بمعنى الخبر، وبمعنى القول والكلام الذي نتحدث به، وما نلاحظه أن المعاجم تشترك في نفس هذا المعنى.

---

[1]- العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي: تح: عبد الحميد هنداوي، ج 1، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 ،2003، (مادة حدث)، ص 292-293.

[2]- مقاييس اللغة: ابن فارس ، تح: عبد السلام محمد هارون، ج 2، دار الفكر،(د، ط)، 1979 (مادة حدث) ،ص36.

[3]- لسان العرب: ابن منظور: تح محمد علي الكبير وآخرون، مج2 دار المعارف، مصر، (د، ط)، (د، س)، ص 797.

اصطلاحا:

ورد تعريف الحديث بأنه «القول المأثور عن الأنبياء والرسل، وقد اختص به القول الذي أثر عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأصبح الحديث علما من العلوم الدينية التي تدرسها المعاهد الإسلامية وأقسام الاستشراف في الجامعات الأجنبية»[1]

أو هو «ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خِلْقي أو خُلقي أو سيرة أو أضيف إلى الصحابي أو التابعين»[2]

وفي اصطلاح المحدثين: ما أضيف إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خُلْقِيّة أو خِلْقِية حقيقة أو حكما.

القول: نحو حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»

الفعل: يعني ما ينقل إلينا من الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان يفعل كذا نحو ما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم من أفعال في الوضوء والغسل والصلاة والحج.

التقرير: فهو أن يحدث الفعل أمام الرسول صلى الله عليه وسلم او في زمنه ويقره الرسول أو يقره الوحي فلا ينكر ولا يغير، فتكون بذلك تقرير شرعي للفعل.

أما **الصفة الخُلقية:** فهي ما نقل إلينا من أخلاق النبي كيف كانت نحو كَرمه وشجاعته وسماحته وصدقه.

الصفة الخِلقية: ما ينقل إلينا عن هيئة الرسول صلى الله عليه وسلم كما في بعض الأحاديث كان ربعة لا بالطويل ولا القصير، كان أبيض الوجه...[3]

---

[1]– معجم مصطلحات العربية في اللغة العربية والأدب: مجدي وهبة، كامل المهندس، بيروت لبنان، ط2، 1984، ص145.

[2]– مصطلح الحديث: محمد بن صالح العثيمين، مكتبة العلم، القاهرة، ط 1، 1919، ص 15.

[3]– تيسير مصطلح الحديث وعلومه: علي عبد الباسط مزيد، مكتبة الجامعة الأزهرية، مكتبة الإيمان، ط1 ،2011، ص12.

ب- القدسي:

ورد لفظ القدسي في القاموس المحيط للفيروز آبادي: القُدْسُ بالضم وبضمتين: الطُّهْرُ اسمٌ، مَصْدَرٌ و جبلٌ عظيمٌ بنَجْدٍ، والبَيْتُ المُقَدَّسُ وجبْريلُ كُروح القُدُسِ.

والقادس: السفينة العظيمة وجزيرة بالأندلس وقصبة بهراة، والقادسية قرب الكوفة مرَّ عليه إبراهيم عليه السلام فوجد بها عجوزًا فغسلت رأسه فقال: قدست من أرض، فسميت بالقادسية، ودعا لها ان تكون محلة الحاج

والقُدُّوس: من أسماء الله تعالى: ويفتحُ: أي الطاهِرُ، أو المُبَارَكُ... والتَّقْدِيسْ: التَّطْهِيرُ، ومنه الأرضُ المُقَدَّسَةُ، وبيتُ المقْدِسِ، كَمَجْلِسٍ ومُعظَّمٍ، وكمحدِّثٍ: الرَاهِبُ، وَتَقَدَّسَ: تَطهَّر.[1]

أما ما جاء في لسان العرب: «فقدَّس: التَقْدِيسُ: تَنْزِيهُ اللهِ عزَّ وجَلَّ، وفِي التَّهْذِيبِ: الْقُدْسُ: تَنْزَيهُ اللهِ تَعالَى وهُو الْمتقَدِّسُ الْقُدُّوسُ، المُقَدَّسُ ويُقالُ: القَدُّوسُ فَعُّولٌ مِنَ الْقُدْسِ: وهُوَ الطَّهارَةُ، والتَقْدِيسِ: التَّطْهِيرُ وَالتَّبْريكُ»[2]

وعليه القدس يراد بها المبارك، الطُّهر، وحين يقول القديس أي المنسوب لله القدوس تبارك وتعالى

ج- الحديث القدسي: أما إذا أضيفت لفظة القدسي للحديث فإنه يعرف بقولهم: يعرفه الشريف الجرجاني بقوله: «الحديث القدسي هو من حيث المعنى من عند الله تعالى، ومن حيث اللفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو ما أخبر الله تعالى به نبيه بإلهام أو بالمنام، فأخبر عليه الصلاة والسلام عن ذلك المعنى بعبارة نفسه فالقرآن مفضل عليه، لأنه لفظه منزل أيضا»[3]

وقيل أيضا: «هو ما نُقل إلينا عن النبي صلى الله عليه وسلم مع إسناده إياه إلى ربه عزَّ وجَلَّ.»[4]

---

[1]- القاموس المحيط: الفيروز أبادي، تح: انس محمد الشامي، دار الحديث، (د، ط)، 2008، ص 1294.

[2]- لسان العرب: مج 4، مرجع سابق، (مادة قدس)، ص3549-3550.

[3]- معجم التعريفات: الجرجاني، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، (د، ط) ، 2010،(باب الحاء)، ص 75.

[4]- تيسير مصطلح الحديث: محمد الطحان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 2010 ص 158.

كما تم تعريفه بأنه " الحديث الذي يرويه الرسول صلى الله عليه وسلم عن ربه تبارك وتعالى لفظا ومعنى ولم يقصد الى الاعجاز به " [1]

وقد سمي كذلك فإضافته إلى الذات القدسية أي المنزهة عن كل نقص وعن كل ما لا يليق شأنه صلى الله عليه وسلم وهو يسمى أيضا الحديث الإلهي نسبة إلى الإله والحديث الرباني نسبة إلى الرب.[2]

والملاحظ أن هناك اختلاف بين هذه التعريفات حيث يذهب التعريف الأول إلى أن الحديث القدسي يرجع المعنى فيه إلى الله سبحانه تعالى أما لفظه فمن الرسول صلى الله عليه وسلم، في حين التعريف الأخير إلى أن الحديث القدسي هو ما رواه الرسول عليه الصلاة والسلام عن الله لفظا ومعنى.

ومن هنا انقسم العلماء إلى فريقين:

فريق مؤيد للتعريف الأول وفريق رافض له.

الفريق الأول: احتج بأن الحديث القدسي معناه يرجع إلى الله ولفظه من عند الرسول صلى الله عليه وسلم،[3] بأن «ألفاظ الحديث ليست معجزة كألفاظ القرآن وإنما هو من طبقة الحديث النبوي وصياغته بصياغة أشبه»[4]

لو كان منزلا بلفظه لكان له من الحرمة والقدسية في نظر الشرع ما للنظم القرآني إذ لا وجه للتفرقة بين لفظين منزلين من عند الله.[5]

---

[1]–الأحاديث القدسية جمعا ودراسة: عمر علي عبد الله محمد، ج1، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ط1، 1425 ص 14.

[2]– الميسر في مصطلح الحديث: السيد عبد الماجد الغوري، دار الشاكر، ط1 ،2015، ص157.

[3]– القرآن الكريم والحديث القدسي حقيقتهما –الفرق بينهما: خالد بن موسى الحسني الزهراني، مجلة الدراسات الإسلامية والبحوث الأكاديمية، جامعة الباحة، ع96 ص 31.

[4]– جامع الأحاديث القدسية: ابو عبد الرحمان عصام الدين الصبابطي، ج1، مج 1، دار الريان للنشر، القاهرة،(د، ط)،(د، س)، ص 29.

[5]–الأحاديث القدسية جمعا ودراسة: مرجع سابق، ص21.

وقد احتج **الفريق الثاني** القائل أن لفظه من الله برواية النبي صلى الله عليه وسلم له عن ربه، بأن ضمائر الكلام فيه تعود إلى الحق تبارك وتعالى.[1]

وعليه الحديث القدسي ما روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم ونسبه لله عز وجل.

وللوصول إلى ماهية الحديث القدسي أكثر، نورد الفروق التي بينه وبين القرآن والأحاديث النبوية.

3-2-الفرق بين الأحاديث القدسية والقرآن الكريم والأحاديث النبوية:

أ- الفرق بين الأحاديث القدسية والقرآن الكريم:

لقد ذكر العلماء فروقا كثيرة بين الأحاديث القدسية والقرآن الكريم تتلخص فيما يلي:

- أن القرآن الكريم معجزة باقية على مر الدهور محفوظة من التغيير والتبديل وحرمة رواية القرآن وحرمة مسّه للمحدث وتلاوته، أما الحديث القدسي فهو ما كان معناه من عند الله ولفظه من عند رسول الله بإلهام أو بالمنام.
- القرآن نزل به جبريل عليه السلام على نبينا محمد وحيا أما الحديث القدسي فقد يكون جبريل هو الواسطة أو يكون بإلهام أو غير ذلك.
- القرآن يتعبد بتلاوته فيثاب عليه بقراءة حرف منه عشر حسنات أما الحديث القدسي فليس فيه هذا الفضل.[2]
- وجوب قراءة القرآن أثناء الصلاة أما الحديث القدسي لا يجوز قراءته أثناء الصلاة فهو يبطلها.
- القرآن كلام الله لفظا ومعنا، أما الحديث القدسي فمعناه من عند الله ولفظه من عند النبي.

---

[1]- جامع الأحاديث القدسية: مرجع سابق، ص29.

[2]- الأحاديث القدسية جمعا ودراسة: مرجع سابق، ص24-23.

- القرآن جميعه قطعي الثبوت لأنه منقول بالتواتر القطعي أما الحديث القدسي ظني الثبوت لان غالبه أخبار آحاد.[1]
- القرآن حُرم مسُّه للمُحْدِث، وحرمة تلاوته للجُنُبْ والحائض والنفساء، خلافا للحديث القدسي يجوز لمسه وتلاوته.
- القرآن لا يجوز روايته بالمعنى بالإجماع (حرمة روايته بالمعنى) في حين الحديث القدسي جواز روايته بالمعنى.[2]
- القرآن مقسم إلى سور وآيات وأحزاب وأجزاء، أما الحديث القدسي فلا يقسم هذا التقسيم.
- القرآن معجز بلفظه ومعناه، أما الحديث القدسي فليس فيه إعجاز.
- القرآن لا يتطرق إليه الخطأ، بينما الحديث القدسي قد يتطرق إليه الخطأ من بعض رواته، بل قد يكون الحديث القدسي ضعيفا لضعف بعض رواته.
- جاحد القرآن يكفر بخلاف من جحد حديثا قدسيا لخلاف في بعض رواته أو نكارة في لفظه أو غير ذلك.[3]

ب- الفرق بين الأحاديث القدسية والحديث النبوي الشريف:

تتمثل الفروق بين الحديث القدسي والحديث النبوي فيما يلي:

- الحديث القدسي ينسبه النبي إلى ربه تعالى (فنسبته إلى الله والنبي يحكيه ويرويه عنه)، أما الحديث النبوي فلا ينسبه النبي إلى ربه سبحانه وتعالى فهو نسبته للنبي وحكايته عنه.
- الأحاديث القدسية أغلبها يتعلق بموضوعات الخوف والرجاء وكلام الرب جَلَّ وعلا مع مخلوقاته وقليل منها يتعرض للأحكام كأحكام الصلاة والصيام والحج والجهاد وغير ذلك،

[1]- مباحث في علوم القرآن: مناع خليل القطان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط7 ،1995، ص21.

[2]- الميسر في علم مصطلح الحديث: مرجع سابق، 159-160.

[3]- الصحيح المسند من الأحاديث القدسية: مصطفى بن العدوي، دار الصحابة للتراث، القاهرة، ط1، ،1989، ص4-5.

أما الأحاديث النبوية فتتطرق إلى جميع هذه الموضوعات مع جوانب أخرى منها ما يتعلق بما يصلح البلاد والعباد بذكر الحلال والحرام.[1]

_ الحديث النبوي صيغته على سبيل المثال يقول أو قال أو أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا أو كذا أو وقع على صورة أخرى مثل فعل كذا أو كذا إلى غير ذلك من طرق الرواية.

وأما في الحديث القدسي فمثال صيغته نحو: يقول الله عز وجل أو قال الله عز وجل أو يقول تعالى الله أو قال الله تعالى أو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه أو فيما يروي عن الله تعالى أو غير ذلك من الصيغ الصريحة.

_ المعنى واللفظ في الحديث النبوي من عند النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان يوحى من الله إلهاما أو غيره، وقد يكون اجتهادا من الرسول صلى الله عليه وسلم وأقره الله عليه، وأما الحديث القدسي فمعناه من عند الله تعالى[2]باتفاق واختلف في اللفظ.

_الأحاديث النبوية أكثر من الأحاديث القدسية بكثير جدا في جميع فروعها متواترة كانت أو آحادا ولما كانت أكثر من الأحاديث القدسية التي يبلغ تعدادها أكثر من مائة[3] أي الأحاديث القدسية قليلة وهي قولية ،أما النبوية قولية وفعلية وتقريرية.

وفي هذا الصدد نشير إلى أن الحديث القدسي يقتصر على الحديث المرفوع إلى النبي دون الموقوف او المقطوع، لأن الحديث القدسي ثابت رفعه إلى الرسول فهو الموكل له رواية المعنى عن ربه وبأسلوبه اللغوي الخاص، أما الحديث الموقوف عن صحابته او المقطوع عن تابعيه ففيه الأسلوب اللغوي الخاص بهم ولا يمكنهم الرواية عن الله سبحانه وتعالى، ويتضمن الحديث القدسي شطرا واحدا من أقسام الحديث الشريف وهو شطر القول دون الشطرين الآخرين الفعل والتقرير.

---

[1]– المرجع السابق، ص5.

[2]–الأحاديث القدسية جمعا ودراسة: مرجع سابق، ص25.

[3]–تحقيقات وانظار في القرآن والسنة: محمد الطاهر ابن عاشور: دار سخنون، تونس، ط2، 2008، ص164.

3-3-أهم الكتب في موضوع الحديث القدسي:

نذكر أهم كتب الحديث على سبيل التمثيل لا الحصر كالآتي:

_الأحاديث القدسية: للإمام النووي محيي الدين ابي زكريا يحيي بن شرف (ت 676هـ) .

_المقاصد الحسنة في الأحاديث الإلهية: لابن بلبان الفارسي الأمير علاء الدين أبي الحسن علي (ت 739هـ).

_الأربعون القدسية: للشيخ ملاً علي القارى أبي الحسن نور الدين علي بن سلطان محمد الهروي (ت1014 هـ) [1].

_ الإتحافات السّنية بالأحاديث القدسية: للشيخ عبد الرؤوف المُنَاوي(ت 1025 هـ) وعدة أحاديث 272 حديثا مرتبة على الحروف .

_ الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية: للشيخ محمد المَدَني بن محمود صالح وضمت 864 حديثا رتبها على 3 أبواب.

_الأحاديث القدسية: لمجموعة من علماء الأزهر، جمعوا فيه 400 حديث.[2]

_الصحيح المسند من الأحاديث القدسية: لعبد الله مصطفى بن العدوي، جمع فيه 185 حديثا.

_من صحاح الأحاديث القدسية: للشيخ محمد عوامة: ذكر فيها 100 حديث قدسي مع الشرح.

_كتاب الجامع في الأحاديث القدسية: للأستاذ عبد السلام بن محمد بن عمر العلوش.

_ الأحاديث القدسية في الكتب السنية جمعا ودراسة للدكتور عبد العزيز مختار إبراهيم الأمين وهو يحتوي على 178حديثا[3] .

---

[1]-الميسر في علم مصطلح الحديث: مرجع سابق، ص160.

[2]-جامع الأحاديث القدسية: مرجع سابق، مج 1، ص20 -21.

[3]- المرجع السابق، ص161.

الفصل الأول

الحجاج وآلياته البلاغية

المبحث الأول: الحجاج لغة واصطلاحا

تمهيد:

يعد الحجاج بابا رئيسيا في مباحث التداولية فهو يجمع الميزات التي تستدعي التأثير والإقناع والتي أثبتت فاعليتها وقدرتها الفائقة على فك مغاليق الكثير من جوانب الخطاب الإنساني، فهو محور النصوص المتضمنة للمقصدية والنقاش والجدال، والتي منها النصوص الدينية والأدبية والفلسفية.

1- مفهوم الحجاج لغة :

- أخذت كلمة **Argument**من الفعل اللاتيني **Arguere** وتعني جعل الشيء واضحا ولامعا وظاهرا، وهي بدورها من جذر إغريقي **Argues**ويعني أيضا لامعا.[1]
- ويشير المصطلح **Argue** في اللغة الإنجليزية الحديثة إلى وجود اختلاف بين طرفين، ومحاولة كل واحد منهما إقناع الآخر بوجهة نظره من خلال تقديم الأسباب أو العلل التي يراها حجة مدعمة أو داحضة لفكرة أو رأي أو سلوك ما.[2]
- ولقد ورد المفهوم اللغوي للحجاج في أكثر من معجم فنجده عند **ابن منظور** في معجمه "**لسان العرب**" مادة **(ح، ج، ج)** فيعرفه قائلا: «حَاجَجته أُحَاجَّهُ حِجَاجًا وَمُحاجَّةً حتَّى حَجَجْتُهُ أَيْ: غَلَبْتُهُ بِالحُجَجْ التَّي أَدْلَيْتُ بِهَا، والحُجَّةُ هي البُرهَانُ وَقِيلَ الحُجَّةُ مَا دُوفِعَ بِهَا الخَصمُ، فقال **الأزهري:** الحُجَّةُ الوَجْهُ الذي يكون به الظَّفر عند الخصومة، وهو رَجُلٌ مِحْجَاجٌ أي جَدِلٌ، وحُجَّةُ يَحُجُّهُ حَجّا: غَلَبَهُ عَلَى حُجَّتِهِ»[3]
- وفي **القاموس المحيط "للفيروز آبادي"** الحج: القصدُ، والكفُّ، والقدومُ، وَسْبُر الشجة **بالمِحْجَاجُ:** لِلمِسْبَارِ، والغَلَبَةُ بالحُجَّةِ، وكثرة الاختلاف والتردّد وقصد مكّة للنُّسك، وهو

---

[1]- الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة: علوي حافظ إسماعيل، ج1، عالم الكتب الحديث، إربد (الأردن)، ط 1، 2010، ص 02

[2]- المرجع نفسه، ص 02.

[3]- لسان العرب: مج01، مرجع سابق، ص 779.

حَاجٌ وحَاجِجٍ، ج: حُجَّاجٌ وحَجِيجٌ وحَجٌّ، وهي حَاجَّةٌ من حَواجَّ، وبالكسر: الاسِمُ، والحِجَّةُ: ... وبالضَّم: البُرهانُ: والمِحْجَاجُ: الجَدلُ... والتَحَاجُّ: الَّتخَاصُم»[1]

نلاحظ من خلال التعريفات السابقة لكلمة "**حجاج**" يتبين لنا أن هذه اللفظة تدل على البرهان والدليل والجدل ويكون أثناء الخصام بين شخصين حول قضية أو فكرة معينة وبالحجة يغلب أحدهما الطرف الآخر.

2- مفهوم الحجاج اصطلاحا:

إن مفهوم الحجاج مفهوم عائم يصعب حصره والإحاطة به، فهو يتميز بكثرة الحقول المعرفية التي تتناوله «فهو عبارة عن جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة هي حمل المتلقي على الإقتناع بما نعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الإقتناع»[2]

وعليه فالحجاج يعد ضمن الأساليب التي تسعى إلى التأثير وإقناع المتلقي بفكرة ما وبما تعرضه عليه من خطابات ومواضيع.

- الحجاج في قاموس التداولية هو "مجموعة من الترتيبات والاستراتيجيات التي يستعملها المتكلم في الخطاب قصد إقناع سامعيه"[3]

فالحجاج حوصلة الطرق والآليات استعان بها المتكلم ووظفها في خطابه من أجل إقناع السامعين.

- الحجاج هو "بذل الجهد لغاية الإقناع، إنه طائفة من تقنيات الخطاب التي تقصد إلى استمالة المتلقي إلى القضايا التي تعرض عليه أو إلى زيادة درجة تلك الاستمالة"[4].

---

[1]- القاموس المحيط: الفيروز آبادي، مرجع سابق، ص331.

[2]- الحجاج في الشعر العربي-بنيته وأساليبه -: سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث، إربد (الأردن) ،(د، ط)، 2011، ص21.

[3]- الاستدلال الحجاجي وآليات اشتغاله في كتاب -غاية المرام في شرح مقدمة الإمام لابن زكري التلمساني -: عمامرة فاطمة، مجلة الإشعاع، الأغواط، الجزائر، ع 05، ديسمبر 2015، ص 182.

[4]-الحجاج مفهومه ومجالاته، مرجع سابق، ص 04.

- الحجاج "شكل من أشكال التواصل والتخاطب والنقاش والحوار، لا يتبع منطقا معينا وليست له موضوعات محددة، بل موضوعاته هي قضايا تشمل كل المعارف الإنسانية حتى تلك التي تعد برهانية فخاصية الحقيقة كما يقول "**بوبر**" تكمن في قابليتها للدَّحض، ولا تخضع لحدود تفصلها عن كل العلوم الإنسانية: (منطقية، تداولية، لسانية، معرفية، فلسفية وغيرها) باعتبارها وسائط للثقة بين الناس بكون الحجاج هو الدافع إليها"[1]

المبحث الثاني: عند العرب والغرب حديثا وقديما

1- الحجاج في الفكر العربي:

1-1- قديما :

- **الحجاج عند الجاحظ (ت 255 هـ):** عاش الجاحظ في فترة صاحبة بالجدل والمساجلات، وذلك بما عرفته البيئة من جماعات ومدارس واتجاهات فكرية متباينة التي كانت تتصارع فيما بينها على تداول الأفكار التي من شأنها حسمُ القضايا المرتبطة بالخلافة والسلطة والنص القرآني والمعارف الوافدة، فنشأة الجاحظ في البصرة صَقَلَتْ منهجُه فاعتمدت على الأدوات المنطقية والآليات البرهانية والحجج العقلية والتي اتسمت بها مؤلفاته .

وليس الحجاج إلا إيصال المتلقي إلى قناعات يجهلها أو ينكرها من خلال الحجة الدامغة والبرهان المصدق والدليل المؤكد بيد أن هذا الهدف لا يمكن ان يتحقق بسهولة، يقول **الجاحظ** " أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة وذلك أن يكون الخطيب رابطِ الجأْش، ساكن الجوارح، قليل اللّحظ متخيّر اللفظ، لا يكلّم سيّد الأمة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام السوقة، ويكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة".[2]

---

[1]-عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج: عبد السلام عشير، دار افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب،(د، ط)،2006، ص 12.

[2]-البيان التبيين: الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، جَ1، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د، ط) ،(د ،س) ،ص 92.

يتضح في هذا النص أن غاية الجاحظ الخطاب الإقناعي الشفوي، وهو إقناع تقدم فيه الغاية(إقناع) على الوسيلة(اللغة)، وتحدد الأولى طبيعة الثانية وشكلها حسب المقامات والاحوال كما يستشهد أيضا بالخطابات من أقوال العرب نثرا وشعرا .

- **الحجاج عند أبي الوليد الباجي:**

ورد مفهوم الحجاج عنده مرادفا لمصطلح الجدل، ويعرفه في مقدمة كتابه قائلا: "أما بعد فإني لما رأيت بعض أهل عصرنا عن سنن المناظرة ناكبين وعن سنن المجادلة عادلين، خائضين فيما لم يبلغهم علمه ولم يحصل لهم فهمه... أزعمت على أن أجمع كتابا في الجدل يشمل على مجمل أبوابه وفروع أقسامه وضروب أسئلته وأنواع أجوبته".[1]

إذن العملية الحجاجية عامل مشترك بين المجتمعات من خلال نظرته لعصره، ففي هذه المقولة محاولة لتعليل وتوضيح طرق التأليف في الحجاج، إذ يمثل الحجاج عنده الجدل، كما توّه الكاتب إلى وزن وقيمة الحجاج بين العلوم معتبرا إياه في قوله "من أرفع العلوم قدرا وأنظمها شأنا، لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال ويميز الحق من المحال، ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حُجة ولا اتّضحت مَحجّة ولا علم الصحيح من السقيم ولا المعوج من المستقيم"[2]، فالمحاججة تمكن من معرفة الصواب من الخطأ والفصل بين المنحرف والمستقيم، والتمييز بين الحق والمحال، فالحجة هي السبيل والاستدلال، وبه يقوم الجدل وتتضح المحجة.

- **الحجاج عند أبي هلال العسكري:**

أما أبو هلال العسكري فيولي اهتمامًا بالغًا بالشعر، ويراه فنًّا أساسيًا تقام به الحجج، وقد ينهض بوظيفة الحجاج وليس وظيفة الجدل، وقد قال في شأن الحجاج: "ما تعطف به القلوب النافرة يؤنس القلوب المستوحشة، وتلين به العريكة الأدبية المستعصية، ويبلغ به

[1]– كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج: أبو الوليد الباجي، تح: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 3، 2001، ص.20

[2]– كتاب المناهج في ترتيب الحجاج: مرجع سابق، ص 08.

الحاجة وتقام به الحجة، فتخلص نفسك من العيب، ويلزم صاحبك الذنب، من غير أن تهيجه وتستدعي غضبه وتثير حفيظته"[1]، وقد تحدث أيضا عن المقام وكيف يكون في الحجاج، فمما قاله: "لكل مقام مقال"[2]، فتحقيق التواصل بين المتكلم والمخاطب هو الغاية والهدف من مراعاة المقام، ومن الأمثلة على قيمة المقام ما يقال في العزاء حين الجنائز ليس كما يقال في الأعراس والأفراح، لأن المقام غير مناسب بحيث يراعي شعور الآخرين، كما انه لكل مكان حديث خاص، فما يقال في المسجد ليس كما يقال في الشارع، وفي الجامعة ليس كما في المقهى، وغير ذلك.

حاصل ما أورده العسكري أنه ينبغي على المرء المعرفة بقوانين الحديث، ليتحقق التواصل، ولتحقيق التواصل يجب توسط الكلام ما بين الاعتراف والاعتدال، وخلوه من التنافر والتعقيد.

1-2 حديثا:

- **الحجاج عند طه عبد الرَّحمان:**

عرف طه عبد الرحمان "الحجاج" بقوله: " هو أن يفهم المتكلم المخاطب معاني غير تلك التي نطق بها، تعويلا على قدرة المخاطب على استحضارها إثباتًا أو إنكارًا كلما انتسب إلى مجال تداولي مشترك مع المتكلم"[3]، بمعنى أن تتوفر لدى المتكلم القدرة على الإقناع وإفهام السامع تلك المعاني والدلالات المعروضة أمامه والموجودة في البنية العميقة للألفاظ، ويتحقق ذلك بقوة الحجة، فيحاول المتلقي تفكيكها وتفسيرها، فإما أن يوافقها ويثبتها، أو ينكرها ويعترض عليها.

---

[1]- كتاب الصناعتين: أبي هلال العسكري، تح: علي محمد البخاري ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية، بيروت، لبنان، ط 1، 2006 م، ص51.

[2]- المرجع نفسه، ص 27.

[3]- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي: طه عبد الرحمان، دار البيضاء، المغرب، ط 2، 2000، ص 65.

ويرى طه عبد الرحمان:" أن الحجاج كل منطوق به موجه للغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها "[1]

بمعنى أن الحجاج هو اللفظ الموجه للغير من أركانه الأساسية الإفهام والفهم حيث يحق للمتلقي أو السامع الاعتراض.

وفي تعريف آخر لطه عبد الرحمان يقول: "فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي اجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجهات ظرفية، ويهدف إلى الاشتراك جماعيا في الإنشاء موجها بقدر الحاجة، وهو أيضا جدلي لأن هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البينات البرهانية الضيقة"[2].

فالحجاج تفاعل وجدل بين أطراف الكلام من متكلم ومخاطبين، يستدعي مراعاة مقتضى الحال وظروف المستمعين وأقوالهم، فهو ذو طابع جدلي لأن هدفه وغايته إقناع المتلقي.

- **الحجاج عند محمد العمري:**

يعد محمد العمري أبرز ناقد مغربي يظهر عنده الاهتمام بمقولات البلاغة المعاصرة عامة والحجاجية خاصة، سواء من خلال دراسته المبكرة حول بعض مظاهر الإقناع في الخطابة العربية القديمة، أو من خلال ترجماته المتعددة لبعض رواد هذا التيار، أو اهتماماته الطموحة لإعادة رسم خارطة عامة للبلاغة العربية القديمة، روافدها، اتجاهاتها، امتداداتها، وخصائصها الصوتية والنحوية والمنطقية.[3]

يهدف "العمري" في كتابه "في بلاغة الخطاب الإقناعي" إلى التنبيه إلى البعد الإقناعي للبلاغة العربية، هذا البعد الذي كان حاضرا عند الجاحظ عل وجه الخصوص، ثم نسي مع

---

[1]– اللسان والميزان او التكوثر العقلي: طه عبد الرحمان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1 ،1998، ص 226.

[2]– في أصول الحوار وتجديد علم الكلام: مرجع سابق، ص65.

[3]–الحجاج في البلاغة المعاصرة –بحث في بلاغة النقد المعاصر: محمد سالم محمد الأمين الطلبة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1 ،2008، ص 287.

هيمنة صياغة السكاكي للبلاغة العربية، ولقد طبق فيه الباحث التصور البلاغي لبرلمان وأولبريخت، لعمقه وبساطته وارتباطه مباشرة بأرسطو، مما يسمح باستيعاب الجاحظ بيسر كما يقول: "على الخطابة العربية في القرن الأول الهجري، مجتهدا في كشف آلياتها الإقناعية التي تميزها على الشعر"[1].

حيث تتبع مسيرة البلاغة العربية في اهتمامها بالحجاج من جهة وفي علاقتها بالنصوص الأرسطية من جهة أخرى، وذلك من أجل الوصول إلى الأبعاد التداولية في البلاغة العربية القديمة وعلاقتها بالنصوص الأرسطية " فمن جهة الحجاج يرى أن الحاجة إليه والاهتمام به قد برز بشكل جلي في فترة الاهتمامات الكلامية عندما صار التسلح بالوسائل الحجاجية أمرا ضروريا للدفاع ضد مزاعم المشبهين والمتناولين للمتشابه من القرآن الكريم من جهة ولمقارعة الفرضيات المضادة التي يقدمها الخصوم"[2]

وبهذا يمكننا القول أن الحجاج بمصطلحاته وبمفاهيمه وأوجهه المتنوعة في الدراسات البلاغية العربية استطاع أن يفرض وجوده وضروريته في الدرس البلاغي القديم والحديث لاهتمامه بدراسة الفعالية الخطابية والتي تستهدف الإفهام والإقناع، ويقتضي الحجاج طرفين: متكلم يدلي بحجته قصد التأثير في المتلقي وإقناعه، ومتلقي بين تقبل الفكرة التي جاء بها المتكلم أو رفضها .

[1]– الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ابتسام بن خراف، دراسة تداولية أطروحة دكتوراه، جامعة باتنة ،2009_2010، ص180.

[2]– الحجاج في البلاغة المعاصرة –بحث في بلاغة النقد المعاصر: مرجع سابق، ص261.

2- الحجاج في الفكر الغربي

2-1 قديما:

- **الحجاج عند أرسطو:**

يعد أرسطو فيلسوفا موسوعيا شاملا، لأن فلسفته تنفتح على كل ضروب المعرفة والبحث العلمي فهي تبحث في الطبيعة والميتافيزيقا والنفس والعلم والحياة والسياسة والشعر وفن الخطابة والمسرح.[1]

وقد أسس أرسطو فهمه للحجاج على منطلقات منطقية واستدلالية تخلو من اعتبارات نفسية اجتماعية عامة.[2]

تأسست دراسة الحجاج عنده على ركيزتين أساسيتين: "الأولى يختزلها مفهوم الاستدلال والثانية تقوم على البحث اللغوي الوجودي، إذ تناوله للحجاج كان منطقيا بالأساس، فقد تمثل في دراسة قواعد الاستدلال المنتج في الأقاويل جميعا جعل منطقه يحتضن البرهان والحجاج جميعا أو جعل منطقه منطقتين إن صح القول، منطق البرهان ومنطق الرجحان، وفي هذا الثاني عرض نظريته فيما يعرف اليوم بالحجاج"[3].

من خلال ما تقدم يتضح أن أرسطو المنظر الفعلي لنظرية الحجاج لوضعه أسس ومبادئ يقوم عليها الحجاج، من منطلقات منطقية وقواعد الاستدلال، فالحجاج عنده مرتبط بالبرهان.

- **الحجاج عند السفسطائيين:**

يعتبر السفسطائيون حركة فلسفية وظاهرة اجتماعية برزت في القرن الخامس قبل الميلاد، وقد تميز روادها بالكفاءة البلاغية اللغوية وبالخبرة الجدلية وقد لعب وجودهم دورا كبيرا في تطوير البلاغة القولية التواصلية خاصة، والحياة الفكرية اليونانية عامة.[4]

---

[1]- من الحجاج إلى البلاغة الجديدة: جميل حمداوي، دار إفريقيا الشرق، المغرب، (د، ط) ، 2014 ، ص 24.

[2]-الحجاج في البلاغة المعاصرة: مرجع سابق، ص40.

[3]- المرجع نفسه، ص36.

[4]- نفسه، ص24.

ولقد اعتمد السفسطائيون في بداية الأمر على توجيه الناس وإرشادهم إلى التفنن في أصناف القول، حيث اشتهروا بمهارتهم بالتلاعب في الأفكار والهروب من الحقيقة، ولنجاح هذا الأمر كانت وسيلتهم الأولى في ذلك هي الحجاج، وكان الدافع الأول عندهم لظهور الحجاج هي القضايا الفكرية ووجود الإنسان، وركزوا بعد ذلك على معرفة ماهية القول، لذلك كان حرصهم على الخطابة لا يقل على تركيزهم على الحجاج، ولقد كانت للسفسطائيين مواجهات فلسفية مع أشهر فلاسفة اليونان كأفلاطون وأرسطو "لقد كان للسفسطائيين ببلاغتهم أثر حاسم في تحريك التفكير حول العديد من المعضلات الفلسفية فضلا عن الإثارة المنتجة لأبوي الفلسفة الغربية أفلاطون وأرسطو"[1]

والسفسطائيون مارسوا الحجاج عن طريق الخطابة والجدل حيث كانوا يرون فيه الحجاج وسيلة لتحقيق الغاية التي ينشدها كل من يريد السلطة في المجتمع فمثلا (بروتاغوراس) هو من أشهر السفسطائيين الحجاج واتخذوه وجها يعكس الأحوال السياسية التي لها دور في بناء المدينة "ولقد كانت البلاغة عند السفسطائيين اليونانيين فنا للجدل والسفسطة وتضليل الخصوم، فاعتمدوا على الشك منهاجا للبلوغ إلى أهدافهم فاتخذوا البلاغة وسيلة للاكتساب والارتزاق مقابل تعليم الناس فنون الخطابة والجدل السياسي وفن الحوار والسخرية والتهكم"[2]

اهتم السفسطائيون ببنية كل من الكلمة والجملة وبحثوا عن الطرق الممكنة التي يتحقق فيها الإقناع، حيث كان للحجاج والبلاغة السفسطائية عمق وأهمية جاء من تصورهم للخطاب والدور الذي يلعبه في التحقيق الوجود وتجسيد الحضور ونفي الغياب، وكان الحضور اللغوي في نظرهم مجازيا لاعتباره مجرد تجسيد صوتي للغياب العيني، عمدوا كذلك في "ممارستهم للحجاج إلى بناء حججهم على فكرة (النفعية) المتعلقة (باللذة)، أي الهوى وليس النفع المتعلق بالمثل أو الخير.[3]

---

[1]– بلاغة الإقناع في المناظرة: عبد اللطيف عادل، دار الأمان، المغرب، ط 1، 2013، ص 29.

[2]–من الحجاج إلى البلاغة الجديدة: مرجع سابق، ص 66.

[3]–الحجاج في البلاغة المعاصرة: مرجع سابق ص 27

وقد أفضت بهم هذه الفكرة إلى توجيه الحجاج بحسب مقتضى المقام الذي يدور فيه الحوار وذلك اعتمادا على توظيف سلطة القول في الاحتيال على الحقيقة والخير إذا كانا لا يخدمان غرض المحاجج وتعتبر هاتان الفكرتان (التوجيه) و(التوظيف) من الأفكار السفسطائية التي سيكون لها دور بنائي قوي في معظم البحوث الحجاجية المعاصرة.[1]

2-2 حديثا:

- **عند ديكرو و أسكومير:**

كان أول ورود لمفهوم الحجاج عند (ديكو) و(أسكومير) من خلال كتاب (الحجاج في اللغة) في سبعينيات القرن الماضي، مشيرا إلى أن عملية الحجاج تكمن داخل إطار اللغة وليس خارجها بدأت نظرية الحجاج عند ديكرو وأسكومير من الفكرة الشائعة التي مفادها "أننا نتكلم بقصد التأثير"، وتنتمي دراسة الحجاج عند كل واحد منهما إلى اكتشاف منطق اللغة، ولقد بين كليهما "أن الحجاج باللغة يجعل الأقوال تتابع وتترابط على نحو دقيق فتكون بعضها حججا تدعم وتثبت بعضها الآخر".[2]

وحاول كل منهما تقديم فكرة مفادها أن اللغة بطبيعتها ذات وظيفة حجاجية أي أن الحجاج جوهر اللغة، "ونظرية الحجاج تريد أن تبين أن اللغة تعمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية، فلفظة الحجاج لا تعني البرهنة على صدق إثبات ما، أو إظهار الطابع الصحيح لاستدلال ما"[3]

وكان المفهوم الأساسي لنظرية الحجاج عند ديكرو هو (التوجيه) "إذ اعتبر أن غاية الخطاب الحجاجي تتمثل في أن تفرض على المخاطب نمطا من النتائج باعتبارها الوجهة الوحيدة التي يمكن للمخاطب أن يسير فيها"[4]، وغالبا ما يؤكد ديكرو على عدم الفصل بين الدلالات

---

[1]- الحجاج في البلاغة المعاصرة: مرجع سابق، ص 27.

[2]- الحجاج في الشعر العربي في بنيته وأساليبه: مرجع سابق ص 23.

[3]- اللغة والحجاج: أبو بكر العزاوي، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط 1، 2006 ص 15.

[4]- الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه: مرجع سابق، ص 23.

وموضوعاتها، لأن قوانين الخطاب تكمن في تحديد معالم هذه الدلالات الحجاجية، بمعنى أن الحجاج يبقى دائما معطى مرتبط بالاستعمال نظرا للعلاقة الوطيدة بينه وبين قوانين الخطاب التي تتدخل في آراء وسلوكيات الطرفين (المتكلم–المستمع) عن طريق التأثير فيهما.

اعتبر كل منهما أن الخطاب ليس فقط وسيلة بل هو غاية أيضا، وميزا بين وظيفتين أساسيتين في اللغة هما: الوظيفة الحجاجية والوظيفة الإخبارية "أما الوظيفة الحجاجية تقوم على تحقيق اثنتين هما: فعل التصريح بالحجة من جهة، وفعل النتيجة من جهة أخرى سواء كانت هذه النتيجة مصرحا بها أو مفهومة بدون تصريح، وأراد ديكرو من خلال هذا أن يصل إلى فكرة مفادها أن المستمع يقوم بعمليات استنتاجية متسلسلة ومعقدة للوصول إلى قصد المتكلم وفهمه".[1]

ولقد ميز كل منهما بنوعين من الأفعال: فعل المحاججة والاستدلال حيث وصل ديكرو إلى نتيجة مفادها أن كل من الحجاج والاستدلال مصطلحان ليس لهما علاقة ببعض، كون الحجاج يكون على مستوى الخطاب والتي تمثل أبنية اللغة، في حين يرتبط الاستدلال بالواقع.

المبحث الثالث: أنواع الحجاج.

1–أنواع الحجاج بحسب الصفة (باختلاف أصولها وامتداداتها المعرفية والمنهجية)

هناك تقسيم يجعل من مجال الدراسة موجها لنوع الحجاج، حيث نجد ثلاث أنواع للحجاج في هذا التقسيم وهي الحجاج البلاغي والحجاج الفلسفي والحجاج التداولي.

[1]– البعد التداولي في العملية التواصلية: عيسى بربار، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه وهران، جامعة أحمد بن بلة، 2015، 2016.

1-1 الحجاج البلاغي:

"وهو الحجاج الذي يتخذ من البلاغة مجالا له ويتخذها آلية من آليات الحجاجية، وذلك لاعتمادها الاستمالة والتأثير عن طريق إشباع فكره ومشاعره معا حتى يتقبل القضية أو الفعل موضوع الخطاب"[1]

أي هذا النوع من الحجاج يقوم على توظيف الأساليب البلاغية والصور البيانية كالتشبيه والاستعارة وغيرها، وهذه العناصر البلاغية توفر للخطاب الحجاجي عناصر جمالية وسحرية يستطيع المتكلم أن يؤثر في المتلقين وأن يوجهه الوجهة التي يرد (إقناع المتلقين والتأثير فيه).

1-2 الحجاج الفلسفي:

وهو الذي يتخذ من الفلسفة بعدا من أبعاده وآلية من آلياته حيث تقاس نجاعته بمعايير خارجية كالقوة أو الضعف والنجاح أو الفشل في الإقناع، ويكون هدفه التأثير والتقبل فهذا النوع من الحجاج يعتمد أساسا على الفلسفة وإجراءاتها كوسيلة تهدف إلى إقناع المتلقي والتأثير فيه.[2]

فبعض الباحثين يرون أن الحجاج يعد بُعد جوهريا في الفلسفة إذ لا يخلو مذهب أو تحليل فلسفي منه، فالتفكير الفلسفي عندهم حجاجي بامتياز كما يتضح أن الحجاج الفلسفي قائم على التأثير والتقبل.

1-3 الحجاج التداولي:

وهذا الحجاج يركز على الجانب التداولي في الخطاب، إذ أن لفظ التداولية يبعث على استحضار نظرية أفعال الكلام في الخطاب ورصدها فيه بغرض إقناع المخاطِب، بالرغم من

---

[1]- آليات تشكل الخطاب الحجاجي بين نظرية البيان ونظرية البرهان: هاجر مدقن، مجلة الأثر، الجزائر، ع 05، 2005 ،ص 191.

[2]- المرجع نفسه، ص 191.

اختلاف الأبعاد التداولية التي تسمح بتوجيه الخطاب الحجاجي والإجابة عن التساؤلات التي تحيط بالعملية التخاطبية والحجاجية.[1]

فالتحدث عن التداولية يشير مباشرة إلى التحدث عن نظرية أفعال الكلام وهي الأفعال التي تتصل بتحقيق الإنجاز والحدوث في الاتصال الخطابي بين المتكلم والمستمع بغرض إقناع المتلقي.

2- أنواع الحجاج من حيث حالات الخطاب:

فينقسم الحجاج إلى حجاج تقويمي وحجاج توجيهي.

2-1 الحجاج التقويمي:

هو إقامة مخاطب وهمي للحوار معه، وهو « إثبات الدعوى بالاستناد إلى قدرة المُسْتدَّل على أن يجرد من نفسه ذات ثانية ينزلها منزلة المعترض على دعواه، فها هنا لا يكفي المستدل بالنظر إلى فعل إلقاء الحجة إلى المخاطب، واقفا عند حدود ما يوجب عليه من ضوابط وما يقتضيه من شرائط بل يتعدى إلى النظر في فعل التلقي باعتباره هو نفسه أول متلقٍ لما يلقى، فيبني أدلته أيضا على مقتضى ما يتعين من المُستدِل له أن يقوم به مستبقا استفساراته واعتراضاته ومستحضرا مختلف الأجوبة عليها ومستكشفا إمكانات تقبلها واقتناع المخاطَب بها»[2]

وهو حجاج يقوم على مراعاة المتكلم في خطابه الحجاجي لشيئين هما: الهدف المراد تحقيقه (الإقناع) والحجج التي يمكن أن يعارضه بها المخاطب والتي يضعها في الحسبان أثناء بنائه الخطابي ويستحضرها في حججه فيقوم بتنفيذها بحجج معارضة قبل أن يطرحها عليه المخاطب أو يتوقع منع أن يعارضه بها.[3]

---

[1]- المرجع السابق، ص 192.

[2]- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: مرجع سابق، ص 228.

[3]- استراتيجيات الخطاب مقابلة لغوية تداولية: عبد الوهاب بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد، المتحدة بيروت، ط 1، 2001 ،ص 473.

الملاحظ أن هذا النوع من الحجاج لا يتوقف في حدود المخاطب وخطابه فقط بل يهتم أيضا بردة فعل المخاطَب وهذا لبلوغ الهدف ومقابلة المعترض بما يجب في الوقت المناسب، وهو عكس الحجاج التوجيهي الذي يهتم بالمخاطب ورأيه، فهذا النوع أعاد الاعتبار للمتلقي ودوره الفعال في العملية الحجاجية.

2-2 الحجاج التوجيهي:

يقصد به «إقامة الدليل على الدعوى بالبناء على فعل التوجيه الذي يختص به المستدَل، علما أن التوجيه هو هنا فعل إيصال المستدل لحجته إلى غيره، فقد ينشغل المستدَل بأقواله من حيث إلقاؤه لها، ولا ينشغل بنفس المقدار بتلقي المخاطَب لها ورد فعله عليها فنجده يولي أقصى عنايته لمقاصده وأفعاله المصاحبة لأقواله الخاصة»[1]

فالتوجيه يختص به المحاجج وهو طريقة يوصل بها أدلته إلى غيره، غير أن هذا النوع من الحجاج يهتم فقط بالمخاطب وانشغاله بإيصال رسالته إلى المخاطَب دون الاهتمام بردة فعل المخاطَب ورأيه، أي هو أدنى مستوى من الحجاج التقويمي فهو لا يقيم وزنا للمرسل إليه، يركز على صدق فاعليه الحجاج من طرف المتكلم فقط.

ويمكن القول أن الحجاج التقويمي هو أفضل أنواع الحجاج نظرا لما يوفره من شروط العملية الحجاجية.

وقد حصر طه عبد الرحمان في كتابه (اللسان والميزان أو التكوثر العقلي) ثلاثة أصناف للحجاج: الحجاج التوجيهي والحجاج التقويمي كما تقدم ذكره عند "الشهري" الذي صنفه إلى صنفين، وقد أضاف طه عند الرحمان صنفا ثالثا وهو الحجاج التجريدي.

2-3 الحجاج لتجريدي:

والمقصود به هو الإتيان بالدليل على الدعوى عن طريق أهل البرهان علما أن البرهان هو الاستدلال الذي يعني بترتيب صور العبارات بعضها مع بعض بصرف النظر عن

[1]- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: مرجع سابق، ص 227.

مضامينها واستعمالاتها.[1]ويفهم من هذا النوع من الحجاج أنه يهتم بالشكل فقط ويهمل المضمون ويتجاهله فهو بذلك يولي اهتماما بالعبارات دون الاهتمام بمضامينها ومقاماتها.

المبحث الرابع: الآليات البلاغية الحجاجية:

قبل الشروع في الحديث عن مفهوم الصورة البيانية لابد من معرفة معنى كلمة صورة والبيان.

1-مفهوم الصورة

1-1 تعريف الصورة لغة:

جاء في لسان العرب **لابن منظور (ت 711هـ) في مادة (ص، و، ر)** أن «الصورة في الشَّكْل، والجمع صُوَرُ، وصُوَرٌ وصِوَرُ... وتَصَوَّرْتُ الشيء توَهَمْتُ صُورتَهُ فَتصَّور لِي، والتَّصَاوِير التَّماثِيل، قال ابن الأثير: الصورة ترد في لسان العرب على ظاهرها، وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته، وعلى معنى صفته، يقال صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته، وصورة كذا وكذا أي صفته».[2]

وفي المحيط للفيروز أبادي: «الصورة بالضم: الشكل: ج: صُوَرٌ وصِوَرٌ كعِنب... وتستعمل الصورة بمعنى النوع والصفة».[3]

أي أن للصورة في اللغة ثلاث دلالات الشكل والصفة والنوع. ويفهم من هذا الكلام أن الصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته وعلى معنى صفته

أما **الراغب الأصفهاني** فيقول عن الصورة: «الصُّورَةُ هي ما ينتقش به الأعيان ويتميز بها غيرها، وذلك ضربان: أحدهما محسوس يدركه الخاصة والعامة، بل يدركه الإنسان وكثير من الحيوان كصورة الإنسان والفرس والحمار بالمعاينة، وثانيهما: معقول يدركه الخاصة دون

[1]- المرجع السابق، ص 226.

[2]- لسان العرب: مج4، مرجع سابق، ص 23-25.

[3]- القاموس المحيط: مرجع سابق، ص956.

العامة، كالصورة التي اختص بها الإنسان من العقل والرَّوِيَّة والمعاني التي اختص بها شيء بشيء».[1]

يُفهم من هذا الكلام أن معنى الصورة إما أن تكون صورة ذهنية أو صور حسية محسوسة الشكل، وأن الشكل يكون مرتبطا بالصورة المحسوسة بإحدى الحواس، كما يفهم أن الصورة لغويا إما صفة أو نوع صورة شكل محسوس أو صورة ذهنية مجردة في الذهن.

والمصور من أسماء الله تعالى وهو الذي صور جميع الموجودات ورتبها فأعطى كل شيء منها صورة خاصة وهيئة مفردة يتميز بها على اختلافها وكثرتها.[2]

ومن معاني الصورة التي وردت في القرآن الكريم قوله تعالى "الذي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ .في أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ» "سورة الانفطار الآية 8" فالمصور هو الذي ينفذ ما يريد إيجاده على الصفة التي يريدها في أي شكل يريد.

يقول السيد قطب «من معاني التصوير: الخلق والإبداع ومنها التعدُّد في مراحل الخلق، والتصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهو يعني بالصورة المحسنة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية».[3]

1-2 الصورة اصطلاحا:

ذكر أرسطو طاليس تعريف الصورة في **كتابه فن الخطاب:** "الصور تجمل إذا تضمنت تغييرا"[4] فالصورة عنده هي تجسيد للجمال شريطة التغبير في الشكل والهيئة.

ورد في **كتاب التعريفات للجرجاني:** تعريفه للصورة: الصورة الجسمية جوهر متصل بسيط لا وجود لمحله دونه قابل للأبعاد الثلاثة المدركة في الجسم في بادئ النظر.[5]

---

[1]- المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، ج1، مكتبة نزار مصطفى الباز،(د، ط)،(د، س) ص378.

[2]- لسان العرب: مرجع سابق، مج 4، ص2523.

[3]- التصوير الفني في القرآن الكريم: سيد القطب، دار الشروق، ط7،(د، س)، ص 36.

[4]-فن الخطابة: أرسطو، تح: عبد الرحمان بدوي، الترجمة العربية القديمة، دار القلم، بيروت، (د, ط)، 1979 ص 198.

[5]- كتاب التعريفات: مرجع سابق، ص 116.

إن التعريفين للصورة يتوافقان في أن الصورة تجسيد للشكل بأبعاده الثلاثة، وهو حس ملموس، متوافق للدلالة اللغوية الاصطلاحية إلى حد كبير في أن الصورة متعلقة بالشكل.

الصورة هي التعبير باللغة المحسوسة عن المعاني والخواطر والأحاسيس فاللغة التصويرية أو لنقل اللغة الفنية ليست سر تقريريا للحقائق ولا بثا مباشرا للأفكار لكنها تجسيد وتمثيل لتلك الأفكار والحقائق في صورة محسوسة يعاينها المتلقين ويدركها إدراكا حسيا، فيكون لها فعاليتها على نفسه، وعميق أثرها في وجدانه.[1]

2-مفهوم البيان

2-1 البيان لغة:

هو الكشف والإيضاح والظهور يقال بَيَّنْتُ الشيء أوضحته، وبَان الشيء ظهر واتَّضح وكذلك نقول أَبَنْتُ الشيء وأبَان، وكذلك بَيّنْتُ الشيء أظهرته.[2]

وفي القاموس المحيط: «بَان بيانا، اتَّضح فهو بَيّن، والجمع أبْيناءُ، وبِنْيُه بالكسر وبَيَّنْتُه وتَبَيَّنْتُه وأبَنْتُه واسْتَبَنْتُه، أوضَحْتُه وعَرّفْتُه فبانَ وَبيَّنَ وتَبَيَّنَ»[3]

كما عرفه **ابن منظور في لسان العرب** «والبَيَانُ والَفصَاحَةُ واللَّسن وكلام بيِّن فصيح والبيَّان الإفصَاحُ مع ذكاء والبيِّن من الرِّجال الفصيحُ».[4]

ويتضح من تعريف ابن منظور أن البيان يعني المنطق الفصيح الواضح كما أن له دلالة الوضوح والبروز والظهور.

---

[1]– الصور البيانية في الموروث البلاغي: حسن طبل، مكتبة الإيمان المنصورة، ط1، 2005، ص 15.

[2]– جواهر البلاغة في –المعاني والبيان و البديع –: احمد الهاشمي، مؤسسة الهنداوي،(د، ط) ،2019 ص 247.

[3]– القاموس المحيط: المرجع السابق، ص179.

[4]–لسان العرب: مرجع سابق، مج01، ص.406

2-2 اصطلاحا:

عرفه **الجاحظ** بقوله: والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع على حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية إليها يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام بأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع.[1]

فالبيان عند الجاحظ اتسع حيث أن دلالته تعني الكشف والإيضاح والفهم والإفهام.

أما **السكاكي في كتابه مفتاح العلوم** قسم البلاغة إلى علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع فعرف البيان بقوله: «علم البيان فهو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه»[2]

وعليه فالبيان في رأي السكاكي هو إبراز المعنى وتوضيحه بأشكال مختلفة سواء بالزيادة أو النقصان حتى يتم المقصود منه.

وطرق التعبير تعني الصورة البيانية المختلفة كما ذكر الطاهر بن عاشور "... فتلك الطرق هي الحقيقة وللمجاز والتشبيه والتصريح والكناية"[3]

- تتفق الدلالة اللغوية والدلالة الاصطلاحية للبيان على أنه: "الوضوح والظهور" غير أن الدلالة الاصطلاحية في توسعها شملت الصور المختلفة للتعبير وينعكس هذا البيان في وسيلة من الوسائل اللغوية وهي الصورة البيانية.

---

[1]- البيان والتبيين: مرجع سابق، ص76.

[2]- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: أحمد مطلوب، ج1، مطبعة المجمع العلمي العراقي، العراق، ط1، 1983، ص409.

[3]- الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1 , 2003، ص05.

3-تعريف الصورة البيانية:

3-1 عند القدماء:

عرفها **الجرجاني** بقوله: «ومعلوم أن سبيل الكلام التصوير والصياغة وأنَّ سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه كالفضة والذهب، يصاغ منها خاتم وأساور فكما أن محالا إذا أردت النظر في صوغ الخاتم وفي جودة العمل ورداءته أن تنظر القصة الحاملة لتلك الصورة، أو الذهب الذي وقع فيه ذلك العمل وتلك الصَّنعة، كذلك محال إذا أردت أن تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام أن تنظر في مجرد معناه كما أن لو فضلنا خاتما على خاتم بأن تكون فضة هذا أجود أو فضة أنفس لم يكن ذلك تفضيلا له من حيث هو خاتم كما ينبغي إذا فضلنا بيتا على بيت من أجل معناه أن لا يكون تفضيلا من حيث هو شعر وكلام، وهذا قاطع فاعرفه »[1] أي عملية الصياغة هذه هي الصورة عنده فحينما ذكر كلمة الصورة فإنما المقصود بها النظم أو الصياغة أو ما يحدث من تفاعلات بأصول فنية داخل السياق،[2]**ويضيف الجاحظ في قوله:** المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتحيز اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء وفي صحة الطبع وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير"[3]

والذي يعني أن فضل المعنى لا يرجع إلى فضل قائله وفضل الكلام ليس فيه فضل معناه بل يرجع إلى صياغة الكلام وتشكيله والتصرف في ألفاظه وتراكيبه تصرفا يظهر براعة قائله، لأن الشعر نوع من التصوير يسير وفق قواعد في فئة تحدد جودته.[4]

---

[1]-دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني: تح: مجمد محمود شاكر، مكتبة الأسرة ،(د،ط)،(د، س)، ص 254، 255.

[2]- الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني: أحمد علي دهمان، ج 1، دار طلاس، دمشق، ط1، 1986، ص257.

[3]- كتاب الحيوان: الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، ج3، مطبعة مصطفى اليابي الحلبي، مصر، ط2، 1965، ص 13.

[4]- الصور البيانية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب: جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3 ،1992، ص07.

3-2 عند المحدثين:

يعرفها عبد القادر قط: الشكل الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص، ليُعبر عن جانب من جوانب التجربة الكاملة في القصيدة مستخدما طاقات اللغة وإمكانياتها في الدلالة والتراكيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والترادف والتضاد والمقابلة والتجانس وغيرها من وسائل التعبير الفني.[1]

كما يعرفها **احمد حسن الزيات** " إبراز المعنى العقلي أو الحسي في صورة محسة، وبالعاطفة تحريك النفس لتميل الى المعنى المعبر عنه أو لتنفر منه "[2]

وعلى ضوء ما سبق نرى بأن تعبير عبد القادر قط أقرب التعريفات للصورة وأشمل على جميع وسائل التعبير البياني.

فالصورة البيانية هي التعبير عن المعنى المقصود بطريقة التشبيه أو المجاز أو الكناية أو تجسيد المعنى.[3]

كما تعرف بأنها الصورة الأدبية التي تعتمد في إخراجها على صياغات علم البيان كالتشبيه والمجاز والاستعارة والكناية وسواها من الوسائط المأثورة التي يستطاع فيها أداء المعنى الواحد بأساليب عدة، وطرائق مختلفة بحسب مقتضى الحال وذوق الكاتب.[4]

كما تَعني الشكل الذي يعبر به الشاعر عن تجربتنا مستخدما طاقات اللغة ودلالتها البيانية التي تخاطب حس الإنسان وإحساسه ووجدانه وقلبه لنقل هذه التجربة في صورة موحية مؤثرة في النفوس وتكون ذلك بالمجاز والتشبيه والاستعارة والكناية والتعريض.

---

[1]- الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر: عبد القادر القط، مكتبة الشباب، (د، ط)،1978، ص 435.

[2]- دفاع عن البلاغة: أحمد حسن الزيات، عالم الكتب، القاهرة، ط2 ،1967، ص77.

[3]- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مرجع سابق، ص227.

[4]- موسوعة علوم اللغة العربية: أصيل بديع يعقوب، ج 6، دار الكتب العلمية لبنان، ط1، 2006، ص 159.

4-أقسام البيان:

4-1 مفهوم الاستعارة:

أ- لغة: عرفها ابن منظور في **لسان العرب** تحت مادة (ع. و. ر) فقال:

«والعارِيّة والعارةُ :مَا تداوَلُوه بَيْنَهُمْ؛ وَقَدْ أَعارَه الشيءَ وأَعارَه مِنْهُ وعاوَرَه إِيَّاه .والمُعاوَرة والتَّعاوُر :شِبْهُ المُدَاوَلة والتّداوُل فِي الشَّيْءِ يَكُونُ بَيْنَ اثْنَيْنِ[1]»

ويبين أن الاستعارة تعني أن شخصا يستعير من شخص آخر شيء ما ويقع هذا بين شخصين بينهما معرفة أو صلة.

وعرفت الاستعارة في **المعجم الوسيط:** «اسْتَعَارَ الشيءَ منه طلبَ أَن يُعطِيَهُ إِيَّاهُ عارِيَّة وَيُقَال استَعاره إِيَاه»[2]

إذا يمكن القول أن معنى الاستعارة يقوم حول التداول والإعارة والطلب.

ب-اصطلاحا:

«استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابه بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه مع قرنية صادقة عن إرادة المعنى الأصلي»[3] أي استعمال لفظ في غير معناه الحقيقي لوجود مشابهة بينه وبين المعنى المجازي.

عرفها **عبد القادر الجرجاني** في كتابه أسرار البلاغة في علم البيان بقوله: «اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفا تدل الشواهد على أنَّه اختص به حين وُضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل وينقله إليه نقلا غير لازم فيكون هناك كالعارية»[4]، بمعنى أن الاستعارة حسب مفهومه تتمثل في استعمال اللفظ في غير معناه الأصلي.

---

[1]- لسان العرب: مج2، مرجع سابق، ص3168.

[2]- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط 4، 2004، ص 636.

[3]- جواهر البلاغة: مرجع سابق، ص 306.

[4]- أسرار البلاغة في علم البيان: عبد القاهر الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1988، ص 22.

وقيل بأنها تشبيه حذف منه جميع أركانه إلا المشبه أو المشبه به وألحقت به قرينة تدل على أن المقصود هو المعنى المستعار لا الحقيقي[1]، أي الاستعارة تقوم على التشبيه فقد اعتبرت تشبيه حذف أحد طرفيه إما المشبه أو المشبه به فالاستعارة مجاز علاقته المشابهة.

نلاحظ أن هذه التعريفات تنحو معنى واحد فتبين أن الاستعارة نوع من المجاز اللغوي يشترط فيه المشابهة بين معنيين أحدهما حقيقي والآخر مجازي، وهي وضع الألفاظ لمعنى ما لم يعرف بهذه الألفاظ أو العبارات أي لم توضع له واعتبرت أيضا عملية نقل تحصل بين الألفاظ فينتقل اللفظ من معناه الحقيقي إلى غيره لغرض.

4-1-1 أركان الاستعارة: تتألف الاستعارة من ثلاثة أركان:[2]

-**المستعار منه:** وهو اللفظ الذي تستعار منه الصفة أو الكلم، وهو بمنزلة المشتبه به.

-**المستعار له:** وهو اللفظ الذي تستعار من أجله الصفة أو الكلمة وهو بمنزلة المشبه

-**المستعار:** وهو الصفة أو الكلمة التي تجمع بين طرفي الاستعارة ويقال أيضا لها الجامع وهو بمنزلة وجه الشبه (اللفظ المنقول).

4-1-2 أقسام الاستعارة:

يقسم البلاغيون الاستعارة باعتبارات مختلفة من حيث ذكر أطرافها قسموها إلى تصريحية ومكنية، وباعتبار لفظها قسموها إلى أصلية وتبعية، وباعتبار الملائم قسموها إلى مرشحة ومجردة ومطلقة، وباعتبار الجامع وباعتبار اللفظ وباعتبار أمر خارج عن ذلك كله، وباعتبار تركيبها قسموها إلى تمثيلية وباعتبار الطرفين قسموها إلى خمسة أقسام.[3]

أ- **باعتبار طرفيها:** قسم البلاغيون الاستعارة من حيث طرفيها إلى تصريحية ومكنية.

---

[1]- المعجم المفصل في اللغة والأدب: أميل بديع يعقوب وميشال عاصي، مج 1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 1، 1987، ص 89.

[2]- علم البيان بين النظريات والأصول: دزيرة سقال، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 1997، ص 180.

[3]- علم البيان: عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، (د، ط)، (د، س)، ص 176.

- **استعارة مكنية:** وهي ما حذف فيه المشبه به وترك شيء من لوازمه قوله تعالى: «والصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ» "التكوير آية 18"، شبه الصبح بالإنسان الذي يتنفس فحذف المشبه به وهو الإنسان وترك القرينة الدالة عليه وهي تنفس على سبيل الاستعارة المكنية.[1]

استعارة تصريحية: هي التي يصرح فيها بلفظ المشبه به، أو هي ما استعير فيها لفظ المشبه به للمشبه مثال قول تعالى: «كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّور» (سورة إبراهيم، آية 01)، ففي الآية الكريمة استعارتين في كلمتي (الظلمات والنور) فالقصد من (الظلمات) الضلال و(النور) الهدى والإيمان فقد استعير الظلمات للضلال لعلاقة المشابهة بينهما في عدم اهتداء صاحبها واستعير النور للهدى والإيمان لعلاقة المشابهة بينهما في الهداية.[2]

ب-باعتبار لفظهما: قسمت إلى تبعية وأصلية:[3]

- ✓ **الاستعارة التبعية:** « هي ما كان اللفظ جرت فيه الاستعارة اسما مشتقا أو فعلا» مثال في قوله: « وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ » (سورة الأعراف آية 154) لفظة (سكت): شبه انتهاء غضب موسى السكوت بجامع الهدوء، ثم استعير اللفظ (سكت) للمشبه وهو انتهاء الغضب، ثم اشتق من السكوت ، بمعنى انتهاء الغضب (سكت) الفعل بمعنى انتهى.[4]
- ✓ **الاستعارة الأصلية:** هي ما كان اللفظ المستعار أو اللفظ الذي جرت فيه اسما جامدا غير مشتق.[5]

---

[1]- علم البيان: عبد العزيز عتيق، المرجع السابق، ص 176.

[2]- مرجع نفسه، ص 177.

[3]- نفسه، ص 181.

[4]- نفسه، ص 183.

[5]- علم البيان بين النظريات والأصول: مرجع سابق، ص 163.

مثل: أقبل البدر يمشي، حيث شبه الرجل الجميل بالبدر، ثم حذف المشبه (الرجل) واستعير له لفظ المشبه به (البدر) وهو اسم جامد غير مشتق؛

فالاستعارة تصريحية أصلية والقرنية لفظية (يمشي)[1]

ج-باعتبار الملائم: قسم البلاغيون الاستعارة باعتبار الملائم والمناسب إلى مرشحة، ومجردة، مطلقة.

✓ **الاستعارة المرشحة:** هي ما ذكر معها ملائم المشبه به أي المستعار منه[2]

مثالها في التصريحية: " رأيت أسدا على المنبر يزأر له لبدة"

حيث ذكر فيها ما يناسب المشبه به وهو يزأر له لبدة " على سبيل الاستعارة التصريحية المرشحة"[3]

قال الله تعالى: «اِهْدِنَا الّصرَاطَ المُسْتَقِيم» (الفاتحة 6) استعارة تصريحية فقد استعير الصراط للإسلام، والقرينة طلب الهداية من الله كما أن كلمة مستقيم فإنها تناسب الطريق وتلائمه، إذن ذكر الاستقامة ترشيح للاستعارة.[4]

✓ **الاستعارة المجردة:** ما ذكر معها ملائم المشبه أي المستعار له.

مثال قول القائل: "رحم امرأ ألجم نفسه بإبعادها عن شهواتها" ففي لفظة (نفسه) استعارة مكنية، فقد شبهت (النفس) (بجواد) بجامع أن كلا منهما يكبح، ثم حذف لمشبه به (الجواد) ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو " ألجم" والقرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي هي (إثبات الإلجام للنفس),

---

[1]- البلاغة الميسرة -البيان، المعاني، والبديع-جم: عبد الشكور معلم عبد فارح، مكتبة السنة الصومال، ط 2، 2021، ص 19.

[2]- علم البيان: مرجع سابق، ص 186.

[3]- البلاغة الميسرة، مرجع سابق، ص 21.

[4]- البلاغة فنونها وأفنانها: علم البيان والبديع: فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر، الأردن، ط11 ،2007، ص 213.

فإذا تأملنا هذه الاستعارة التي استوفيت قرينتها رأينا أنها تشمل بالإضافة إلى ذلك على شيء يلائم المشبه (النفس) وذلك بشيء هو (إبعادها عن شهواتها) فذكر الإبعاد عن الشهوات وهو ملائم المشبه تجريد ومن أجل هذا تسمى الاستعارة (مجردة).[1]

- ✓ **الاستعارة المطلقة:** هي ما خلت من ملائمات المشبه به والمشبه، وهي كذلك ما ذكر معها ما يلائم المشبه به والمشبه معا.[2]

من ذلك قول تعالى: «إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ » (الحاقة الآية 11)

فقد استعير الطغيان للزيادة بجامع مجاوزة الحد في كل شيء ولا يوجد في الآية ملائم لأحدهما.[3]

4-2 التشبيه:

أ- **لغة:** هو المماثلة والمحاكاة وهو مصدر من فعل شبَّه: يقال شبَّه هذا بهذا تشبيهًا[4]، ويقال هذا شبَّه هذا أو مثَّيله، وما شبَّهتُ الشَّيَء بالشَّيِء أي أقَمْتُه مقَامَهُ لمَا بينهُما من الصفة المشتركة.[5]

عرفه **ابن منظور** في لسان العرب: «الشِّبْهُ والشَّبَهُ والشَّبِيهُ: المِثْلُ، والجمع أَشْباهٌ. وأَشْبَه الشيءُ الشيءَ: ماثله. وفي المثل: مَنْ أَشْبَه أَباه فما ظَلَم»[6]

وعليه معنى التشبيه هو التمثيل والمماثلة.

---

[1]- علم البيان: مرجع سابق، ص187-189.

[2]- المرجع نفسه، ص 189.

[3]- علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان، عبد الفتاح فيود بسيوني، مؤسسة المختار للنشر، القاهرة، ط4، 2015، ص 206.

[4]- علم البيان بين النظريات والأصول: مرجع سابق ص 147.

[5]- علوم البلاغة -البيان والمعاني والبديع-: أحمد مصطفى المراغي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 3، 1993، ص 213.

[6]- لسان العرب: مج04، مرجع سابق، ص 2190.

ب- اصطلاحا:

إلحاق أمر (المشبه) بأمر (المشبه به) في معنى مشترك (وجه الشبه) بأداة (الكاف وكأن وما في معناها) لغرض (فائدة).[1]

عرفه علماء البيان بأنه: الدلالة على اشتراك شيئين في وصف من أوصاف الشيء في نفسه.[2]

عرفه أحمد قاسم: التشبيه صورة تقوم على تمثيل شيء (حسي أو مجرد) بشيء آخر (حسي أو مجرد) لاشتراكهما في صفة (حسية أو مجردة) أو أكثر، هذا يوضح أن المتشابهين ليسا متطابقين في كل شيء.[3]

من خلال هذين التعريفين نلاحظ أن تعريف التشبيه في الاصطلاح لم يخرج من المفهوم اللغوي الذي يعني التشابه والمماثلة.

4-2-1 أركانه:

للتشبيه أربعة أجزاء وهي:

أ- المشبه: وهو الأمر الذي يراد إلحاقه بغيره.

ب- المشبه به: وهو الأمر الذي يراد إلحاق غيره به، وسمي كل من المشبه والمشبه به بطرفي التشبيه.

ج-وجه الشبه: وهو المعنى الجامع الذي يشترك فيه الطرفان، ويكون في المشبه به أعرف وأشهر منه في المشبه وغالبا ما يكون المشبه به أقوى وأكمل أيضا منه في المشبه.

---

[1]- علوم البلاغة: مرجع سابق، ص 213.

[2]- معجم التعريفات: مرجع سابق، ص 52.

[3]- علوم البلاغة -البديع والبيان والمعاني-: محمد أحمد قاسم، محي الدين ذيب، المؤسسة الحديثة، لبنان، ط 1، 2003، ص 143.

د- أداة التشبيه: وهي اللفظ الذي يربط بين الطرفين ويدل على التشبيه[1]، كما تعد كل لفظ يدل على المماثلة والاشتراك وهي حرفان وأسماء وأفعال وكلها تفيد قرب المشبه به في صفته.

الحرفان وهما الكاف وكأن، والأسماء هي مثل وما في معنى مثل: كلفظة (نحو) وما يشتق من لفظة مثل، وشبه نحو: مماثل، ومشابه وما رادفهما.

والأفعال هي يشبه ويشابه ويماثل ويحاكي ويضارع ويضاهي ويقارب ونحوها من أفعال الرجحان كظن وحسب.[2]

مثال توضيحي: اصحب الكتاب فالكتاب مثل المعلم تعليما وفائدة.

المشبه: الكتاب.

المشبه به: المعلم.

أداة التشبيه: مثل.

وجه الشبه: تعليما وفائدة.[3]

4-2-2 أنواع التشبيه:

للتشبيه عدة أقسام وقد وضع البلاغيون معايير يتم من خلالها التمييز بين أنواع هذه التشبيهات وهذه المعايير تكون بحسب الأداة أو بحسب وجه الشبه أو من حيث طرفي التشبيه.

_التشبيه باعتبار الأداة: يقسم البلاغيون التشبيه إلى:

أ-التشبيه المرسل: ما ذكر فيه أداة التشبيه مثل: عبد الله كالأسد في الشجاعة.[4]

---

[1]- علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان: مرجع سابق، ص 24.

[2]- الميسر في البلاغة العربية – دروس وتمارين-: أحمد شعيب، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2008، ص 28- 29.

[3]- المرجع السابق، ص 26.

[4]- تسهيل البلاغة: قائد الحاشري، دار الإيمان، الإسكندرية،(د، ط)، 2006، ص 82.

ب-التشبيه المؤكد: وهو ما حذفت منه أداة التشبيه، وتأكيد التشبيه حاصل من ادعاء أن المشبه عين المشبه به،[1] وذلك نحو قوله تعالى تصويرا لبعض ما يرى يوم القيامة: «وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ» (النمل 88) أي أن الجبال ترى يوم ينفخ في الصور كمر السحاب، أي تسير في الهواء كسير السحاب الذي تسوقه الرياح.[2]

وعليه إذا ذكرت أداة التشبيه سمي مرسلا، وإذا لم تذكر سمي تشبيها مؤكدا، ومعنى مرسل أنه مقول بطريقة عفوية، مرسل في السجية، ومعنى مؤكد أنه لا شك في المشابهة ما بين الطرفين حتى تغدو هذه المشابهة أمرا مفروغا منه، والتشبيه المؤكد أقوى بكثير من المرسل.

فلو قلت: "العلم كالنور في الهداية إلى الخيرِ" لكان تشبيهك مرسلا بذكر الكاف، أما لو قلت العلم نور في الهداية إلى الخير لأكدت المشابهة بين العلم والنور ولكان التشبيه أقوى.[3]

ج-**التشبيه البليغ:** وهو ما حذفت منه الأداة ووجه الشبه مثل: عبد الله أسد.[4]

-**التشبيه باعتبار وجه الشبه:** للتشبيه باعتبار وجه الشبه ثلاثة تقسيمات

- تشبيه تمثيلي وغير تمثيلي.
- تشبيه مفصل ومجمل.
- تشبيه قريب وبعيد.[5]

أ. **تشبيه التمثيل:** وهو ما كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد أمرين أو أمور هذا هو مذهب جمهور البلاغيين في تعريفه، ولا يشترطون فيه غير تركيب الصورة سواء أكانت العناصر التي تتألف منها صورته أو تركيبه حسية أو معنوية.

من أمثلته قول شاعر يمدح فارسا:

وتراه في ظلم الوغى فتخاله قمرا يكر على الرجال بكوكب.

---

[1]- الميسر في البلاغة العربية: مرجع سابق، ص 30- 31.

[2]- البلاغة الواضحة: علي الجازم، مصطفى أمين، دار المعارف للنشر،(د، ط) ، 1999، ص 25.

[3]- البلاغة والتحليل الأدبي: أحمد أبو حافة، دار العلم للملايين، لبنان، ط 3، 1996، ص 125.

[4]- تسهيل البلاغة: مرجع سابق، ص 82.

[5]- علم البيان: مرجع سابق، ص 86.

فالمشبه هنا هو صورة الممدوح الفارس وبيده سيف لامع يشق به ظلام غبار الحرب، والمشبه به هو صورة قمر يشق ظلمة الفضاء ويتصل به كوكب مضيء، ووجه الشبه هو الصورة المركبة من ظهور شيء مضيء يلوح بشيء متلألئ في وسط الظلام.[1]

وكقوله: وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يوافي تمام الشهر ثم يغيب

فوجه الشبه (سرعة الفناء) انتزعه الشاعر من أحوال القمر المتعددة إذ يبدو هلالا فيصير بدرا ثم ينقص، ثم يدركه المحاق، وسمي تشبيه التمثيل.

ب. تشبيه غير التمثيل: وهو ما لم يكن وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد[2]، وبعبارة أخرى هو ما يكون غير مركب أي مفرد وكونه مفردا لا يمنع من تعدد الصفات المشتركة بين طرفي التشبيه.

كقول امرئ القيس:

وليل كموج البحر أرخى سدوله علي بأنواع الهموم ليبتلى

فالمشبه هو الليل في ظلامه وهوله، والمشبه به هو موج البحر، وأن هذا الليل أرخى عليه حجبه وسدوله مصحوبة بكل أنواع الهموم والأحزان ليختبر صبره وقوة احتماله، ووجه الشبه الذي يتشرك فيه الليل وموج البحر صفتان هما: الظلمة والروعة[3].

ج. التشبيه المجمل: ما حذف منه وجه الشبه مثل: محمد كالبحر.[4]

كقولنا: له جرأة كجرأة الليث، حذف منه وجه الشبه فهو يريد أن يقول: له جرأة كجرأة الليث إذا غضب.[5]

---

[1]– المرجع السابق، ص 86.

[2]– تسهيل البلاغة، مرجع سابق، ص 83.

[3]– علم البيان: مرجع سابق، ص 88–89.

[4]– البلاغة الميسرة: مرجع سابق، ص 12

[5]– المبسط في علوم البلاغة –المعاني والبيان والبديع–: محمد طاهر اللادقي، المكتبة العصرية، بيروت،(د، ط)، 2005، ص 139.

د. **التشبيه المفصل:** هو ما ذكر فيه وجه الشبه مثل: محمد كالبحر في الجود.[1]

وقال الشاعر: أنا كالماء إن رضيت صفاء وإذا ما سخطت كنت لهيبا

يشبه نفسه بالماء في الصفاء إذا كان راضيا فإذا سخط كان كالنار يحرق ما تلقاه وتبدد من طريقها ما تجده.

التشبيه هنا: مرسل لوجود الأداة في قوله : أنا كالماء

وفي عجز البيت: كنت لهيبا تشبيه مؤكد لحذف الأداة

والتشبيه الأول مفصل لوجود الشبه وهو الصفاء

والتشبيه الثاني مجمل لعدم وجود وجه الشبه كما انه تشبيه بليغ أمينا لحذف الأداة منه.[2]

هـ. **التشبيه القريب والبعيد:** يكون التشبيه باعتبار الوجه قريبا وبعيدا والمراد بالقريب: القريب المبتذل، وبالبعيد البعيد الغريب.

التشبيه القريب (مبتذل): هو ما ينتقل فيه من المشبه به إلى المشبه به من غير حاجة إلى تلبث وتذكر لأن وجه الشبه في المشبه به مما يسرع حضوره إلى الخاطر عند أول النظر إلى المشبه، وأسباب القرب منها ما يرجع إلى المشبه به كثرة تردده على الحواس، ومنها ما يرجع إلى وجه الشبه بأن يكون مجملا لا تفصيل فيه،[3] فإذا قلت: « هي كالبدر في الحسن وكالشمس في الوضاءة، وهو كالبحر في الجود وكالأسد في الشجاعة، وكالليل في الوحشة وكالثعلب في المكر» فهذا كله تشبيه قريب لأن المشبه به يتردد كثيرا على الحواس ولأن وجه الشبه لا محال فيه للتفصيل.[4]

---

[1]–البلاغة الميسرة: مرجع سابق، ص 12.

[2]– المدخل إلى دراسة البلاغة العربية: أحمد خليل، دار النهضة العربية، بيروت، (د. ط)، 1968، ص 228–229.

[3]– البلاغة فنونها وأفنانها: مرجع سابق، ص 80.

[4]– المرجع نفسه، ص 80.

التشبيه البعيد (الغريب): هو ما احتاج في الانتقال من المشبه إلى المشبه به إلى فكر وتدقيق ونظر لخفاء وجهه بادئ الرأي[1] فالتشبيه كلما دق وجه التشبيه فيه وكان المشبه به غير مألوف فهو من التشبيه الغريب.[2]

كتشبيه هيئة الحال على الخد بالشقيق في قول الشاعر:

لا تعجبوا من خاله على خده كل الشقيق بنقطة سوداء

فإن وجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من وجود نقطة مستديرة سوداء وسط رقعة مبسوطة حمراء وواضح أن الذهن لا ينتقل من المشبه (الخال في الخد) إلى المشبه به (الشقيق بنقطة سوداء) إلا بعد معاودة النظر وإنعام التأمل.[3]

وكقول ابن المعتز في وصف ظهور البرق وخفائه

وكأن البرق مصحف قار فانطباقا مرة وانفتاحا

فوجه الشبه هو هيئة توالي حركتين في اتجاهين مختلفتين ينشأ عن إحداهما ظهور وانفتاح وعن الأخرى خفاء وانطباق، لا ينتقل الذهن في إدراكه والوقوف عليه لدقته وخفائه فهو حركة خاصة تحتاج من الأديب أو القارئ إلى أن يغض النظر عما عداهما مما في البرق من إشراق وما في المصحف من لون حين يفتحه القارئ.[4]

ولقد رأينا أقسام التشبيه باعتبار أركانه لكن هذا غير كافي لتحديد جميع أقسامه إذ نجد أقسام أخرى للتشبيه وهي:

و. **التشبيه الضمني:** وهو تشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة وإنما يلمح التشبيه ويعرف من قرينة الكلام ومضمونه، ولذلك سمي

---

[1]– الإيضاح في علوم البلاغة، مرجع سابق ، ص 193.

[2]– البلاغة فنونها وأفنانها: مرجع سابق، ص 84.

[3]– المفصل في علوم البلاغة العربية –المعاني والبيان والبديع–: عيسى علي العاكوب، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية(د، ط) ، 2000، ص 417– 418.

[4]– علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان: مرجع سابق، ص 85.

تشبيها ضمنيا[1]، أي هو الذي لا تذكر فيه أركان التشبيه صراحة بل يلمح من سياق الكلام وهذا التشبيه يفيد أنَّ ما أسند إلى المشبه ممكن تصوره ووقوعه.[2]

ومثاله قول الشاعر:

من يهن يسهل الهوان عليه مالجرح بميت إيلام.

والقصد تشبيه الرجل الذليل بالميت الذي فقد الإحساس بالأشياء فلا يهمه شيء، ولا يعبأ بأمر وهذا النوع من التشبيه يؤتى به ليفيد أن الحكم الذي أسند إلى المشبه ممكن.[3]

ز. **التشبيه المقلوب:** سمي المقلوب أو المنعكس لأن التشبيه يعكس فيه فيجعل المشبه مشبها به والمشبه به مشبها،[4] فهو جعل المشبه مشبها به بادعاء أن وجه الشبه فيه أقوى وأظهر كقول الشاعر:

الورد يحكي خدَّه والرمح يشبه قده.

فهذان تشبيهان مقلوبان أصلهما: خدة يحكي الورد، وقده يشبه الرمح، فأنت تعلم أن العادة في البلاغة على تشبيه الأدنى بالأعلى، فإذا جاء الأمر على خلاف ذلك فهو التشبيه المعكوس أو المقلوب، كما القول مثلا في النجوم كأنها المصباح ثم تقول في حالة أخرى في المصباح كأنها نجوم.[5]

من خلال ما سبق نستخلص أن التشبيه ينقسم إلى تقسيمات مختلفة باعتبار من الاعتبارات هي كالآتي: من حيث الطرفين، الأداة، ووجه الشبه.

---

[1]– مدخل إلى البلاغة العربية: يوسف أبو العدوس، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1 ،2007، ص 151.

[2]– المبسط في علوم البلاغة: مرجع سابق، ص 149.

[3]– المدخل إلى دراسة البلاغة العربية: مرجع سابق، ص 229.

[4]– المرجع نفسه، ص 445.

[5]– تسهيل البلاغة: مرجع سابق، ص 86.

4-3- الكناية:

أ- لغة:

مصدر كنا يكنو أو كني يكني، والكني أو الكنو معناه الستر، فالكناية ستر المقصود وراء لفظ، أو عبارة، أو تركيب.[1]

وجاء في **لسان العرب لابن منظور**: الكناية: أن تتكلّم بشيء وتريدَ غيره، وكنَى عن الأمر بغيره يكني كناية، يعني إذا تكلّم بغيره، مما يستدل عليه نحو الرفث والغائط ونحوه.[2]

ويعرفها **ابن فارس**: "الكاف والنون والحرف المعتل يدل على تورية عن اسم بغيره

يقال كنيت عن كذا إذا تكلمت بغيره مما يستدل به عليه.[3]

ويتضح من خلال هذا أن الكناية تعني الستر والإضمار والإخفاء.

ب- اصطلاحا:

هي لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى، مثال ذلك: فلان طويل النجاد[4]، فهي كناية على الطول أي طول القامة.

عرف **عبد القاهر الجرجاني** (ت 471 هـ) الكناية في كتابه دلائل الإعجاز بقوله: والكناية ها هنا أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلا عليه، مثال ذلك قولهم في المرأة نؤوم الضحى، والمراد أنها مترفة مخدومة، لها من يكفيها أمرها، فقد أرادوا في هذا كله معنى ثم لم يذكروه بلفظه الخاص به ولكنهم توصلوا إليه بذكر معنى آخر

---

[1]- مدخل إلى البلاغة العربية: مرجع سابق، ص 212.

[2]- لسان العرب: مج 05، ص 3944.

[3]- مقاييس اللغة: ابن فارس، ج5، مرجع سابق، ص 139.

[4]- علم البيان: مرجع سابق، ص 203.

من شأنه أن يردفه في الوجود وان يكون إذا كان... فإذا كانت المرأة مترفة لها ما يكفيها أمرها ردف ذلك أن تنام إلى الضحى.[1]

يعرفها **السكاكي في كتابه مفتاح العلوم:** «الكناية هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزم لينتقل من المذكور إلى المتروك»[2]

4-3-1 أقسامها:

يقسم البلاغيون الكناية إلى ثلاثة أقسام:

أ. **الكناية عن الصفة:** وهو الكناية التي يطلب بها "صفة" هي ما كان المكنَّى عنه فيها صفة ملازمة لموصوف مذكور في الكلام.[3]

فضابط هذا القسم أن تذكر الموصوف وتنسب له صفة، ولكنك لا تريد هذه الصفة وإنما تريد لازمها، ففي قولك: "فلان كثير الرماد" ذكر الموصوف وهو فلان وذكر لصفته وهي كثرة الرماد ولكنك لم ترد هذه الصفة لنفسها بل أردت صفة ملازمة لها وهي الكرم.[4]

وهي نوعان: **كناية قريبة** ينتقل ذهن المتلقي فيها من المعنى الوضعي إلى المعنى المراد مباشرة دون وسيط، سميت قريبة لقصر زمن إدراك المراد المناسب منها بسبب إنتقاء الوسائط وهي إما واضحة كقولك: عنترة طويل النجاد، النجاد حامل السيف، فالمتكلم ذكر موصوفا هو (عنترة) ثم نسب إليه صفة هي "طول النجاد" لكن هذه الصفة غير مراده في ذاتها بل طول القامة فطول النجاد يستلزم طول القامة.

وخفية: لا ينتقل الذهن منها إلى المراد بها إلا مع شيء من التأمل والتفكر كقول العرب: "فلان عريض القفا" كناية عن أنه أبله فإن عرض القفا على نحو مفرد معلم بلاهة.[5]

---

[1]- دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني: مرجع سابق، ص 66.

[2]- مفتاح العلوم: علي السكاكي، تع: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1987، ص 402.

[3]- جواهر البلاغة: مرجع سابق، ص 346.

[4]- البلاغة فنونها وأفنانها: مرجع سابق، ص 249.

[5]- المفصل في علوم البلاغة العربية: مرجع سابق، ص 571- 572.

ب. **الكناية عن الموصوف:** وضابط هذا الضرب من الكناية فيه تصرح بالصفة ونصرح بالنسبة، لكن لا نصرح بالموصوف صاحب النسبة، بل نكني عنه بما يدل عليه ويستلزمه[1] كقولك: "جاء هادم اللذات ومفرق الجماعات" كناية عن الموت، وأنت هنا تذكر صفة (هدم اللذات) وهي خاصة بموصوف غير مذكور (الموت).[2]

ج. **الكناية عن النسبة:** هذا النوع من الكلام عدول عن التعبير المباشر، وذلك عن طريق إثبات الصفة لشيء يتعلق بمن نريد إثباتها له،[3] أي إثبات أمر لآخر أو نفيه عنه وكيفيتها ان يصرح بالموصوف والصفة ولا يصرح بالنسبة بينهما بل يصرح بنسبة أخرى تستلزم هذه النسبة (أي النسبة المقصودة تتوارى وراء النسبة المذكورة).[4]

كقول زياد الأعجم:

إن السماحة والمروءة والندى في قبة ضربت على ابن الحشْرَج.

فإنه حين أراد أن لا يصرح بإثبات هذه الصفات لابن الحشرج جمعها في قبة تبنيها بذلك على أن محلها ذو قبة، وجعلها مضروبة عليه لوجود ذوي قباب في الدنيا كثيرين فأفاد إثبات الصفات المذكورة له بطريق الكناية.[5]

[1]– البلاغة الاصطلاحية: عبد العزيز قلقيلة، دار الفكر العربي، ط3، 1992، ص 106.

[2]– المرجع السابق، ص 574.

[3]– الميسر في البلاغة العربية: مرجع سابق، ص 116.

[4]– المفصل في علوم البلاغة العربية، مرجع سابق، ص 575.

[5]– الإيضاح في علوم البلاغة: مرجع سابق، ص 246.

الفصل الثاني:

حجاجية الصورة البيانية للحديث القدسي –دراسة تطبيقية–

توطئة:

لا شك أنَّ للصور البيانية دلالات تجعل المتلقي عميق الخيال والتفكير فهي طرق تستخدم لتحقيق عملية التبليغ والسعي لاستمالة المتلقي والتأثير فيه وإقناعه، وهو ما أكده السكاكي في قوله الاستدلال البياني والمجازي أكثر تأثيرا على غيره وأن أرباب البلاغة وأصحاب الصياغة للمعاني مطبوقون على أن المجاز أبلغ من الحقيقة وأن الاستعارة اقوي من التصريح بالتشبيه، وأن الكناية أوقح من الإفهام بالذكر"[1] وعليه فإن الصور البيانية بجميع أشكالها(تشبيه، استعارة، كناية) ذات فائدة تتجلى فيما تتركه من آثار نفسية على السامع الذي تدفعه إلى الإقتناع والتفاعل مع المتكلم (النص) وبهذا فوظيفتها حجاجية وجمالية.

وقد تميز أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم في خطاباته وخاصة الحديث القدسي بالأسلوب الإقناعي الذي اعتمد فيه على حجج لجذب انتباه المتلقي والتأثير فيه، لتوجيهه وتحسين سلوكه وأفعاله.

لهذا سنحاول في هذا الجزء من الدراسة التطبيقية من دراسة بعض الصور البيانية التي احتواها خطاب الله سبحانه وتعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم " الحديث القدسي "بغية الكشف عن الدور الذي تؤديه في عملية الإقناع والتأثير على المخاطب.

المبحث الأول: حجاجية الاستعارة:

تعد الاستعارة من أهم آليات الحجاج البلاغية وذلك لما تحققه من فوائد في تقريب المعنى إلى المتلقي، فهي أحد تقنيات الحجاج الإقناعي المهمة والتي تؤثر على المتلقي وتجعله يقبل بالفكرة بل يسلم بها.

1– مفتاح العلوم: مرجع سابق، ص412.

فقد صرح صلاح فضل في كتابه بلاغة الخطاب وعلم النص " الاستعارة تعطي دفعة قوية للخيال كي يفكر أكثر".[1]

وقد وردت هده الآلية في عدة أحاديث من الحديث القدسي سنحاول أن نوضح البعد الحجاجي و الاقناعي فيها من بينها :

1/- النموذج الأول :

حدثنا محمد بن رافع حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه: قال هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **تَحَاجَّتِ الجنةُ والنارُ، فقالت النارُ :أوثِرتُ بالمُتَكَبّرين، والمُتَجَبّرين، وقالت الجنةُ :فما لي لا يدخلني إلا ضعفاءُ الناس وسَقَطُهم وغِرَّتُهم؟ قال الله للجنة :إنما أنت رحمتي أرحمُ بك مَن أشاءُ من عبادي، وقال للنار :إنما أنت عذابي أُعذِّب بك مَن أشاء من عبادي، ولكل واحدةٍ منكما مِلْؤها، فأما النارُ فلا تمتلئُ حتى يضعَ الله تبارك وتعالى رِجْلَه، تقول :قَط قَط قَط، فهنالك تمتلئ، ويَزْوِى بعضُها إلى بعض، ولا يظلم اللهُ من خلقه أحدا، وأما الجنةُ فإنَّ اللهَ يُنشئ لها خَلْقً**»[2]

أ- شرح الحديث:

في هذا الحديث قوله **(تَحَاجَّتِ)** أصله تحاججت وهو مفاعلة من الحجاج وهو الخصام وزنه ومعناه يقال حاججته.. أي غالبته بالحجة **(الجنةُ والنارُ)** قيل يجوز أن يكون هذا الخصام حقيقة بأن يخلق الله فيهما حياة وفهما وكلاما، والله قادر على كل شيء ويجوز أن يكون

1- بلاغة الخطاب وعلم النص: صلاح فضل، عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية اصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والادب، الكويت، اشراف احمد مشاري العدواني، 1990،ص 145.

2- جامع الأحاديث القدسية: مرجع سابق، مج 2، ج3، ص293.

هذا مجازا كقولهم (امتلأ الحوض) وقال **قطني** والحوض لا يتكلم وإنما ذلك عبارة عن امتلائه وأنه لو كان ممن ينطق لقال ذلك، وحاصل اختصامهما افتخار أحدهما عن الآخر بمن يسكنها. فتظن **النار** أنها بمن ألقي فيها من عظماء الدنيا أبر عند الله من الجنة، وتظن **الجنة** أنها بمن أسكنها من أولياء الله تعالى أبر عند الله[1] **احتجت الجنة على النار، والنار احتجت على الجنة،** فالنار احتجت وافتخرت بأن من يسكنها الجبارين والمتكبرين فأهل الجبروت وأهل الكبرياء هم أهل النار والعياذ بالله، أما الجنة فقالت أن فيها ضعفاء الناس و فقرائها المحتقرون منهم، فهم في الغالب الذين يلينون للحق وينقادون له، فقضى الله بينهما قال الجنة: أنت رحمتي يعني خلقتك برحمتي، أرحم بك من أشاء، وقال للنار أنت عذابي أعذب بك من أشاء، ثم أوجب على نفسه سبحانه وتعالى أن يملأ الجنة ويملأ النار وفضل الله سبحانه وتعالى ورحمته أوسع من غضبه فإنه إذا كان يوم القيامة ألقي من يلقي من النار وهي تقول هل من مزيد ولكن الله عز وجل لا يدخل جهنم إلا من كفر بالله وقامت عليه الحجة، فيضع الله قدمه فينزوي بعضها إلى بعض من أثر وضع الله عز وجل قدمه عليها فتقول حسبي ويكفيني هذا... فهذا ملؤها وأما الجنة فإنها واسعة عرضها السماوات والأرض يدخلها أهلها ويبقى فيها فضل زائد على أهلها، فينشئ تعالى لها أقواما يدخلهم الجنة بفضله ورحمته لأن الله تكفل لها بملئها.[2]

يبين هذا الحديث عطاء الله وفضله الكبير على عباده وإحسانه لخلقه ويتضح هذا من خلال رده على الجنة والنار، كما فيه وصف وبيان لسعة الجنة والنار وأنهما سيمتلآن من خلقه كما فيها وصف وتحديد لأهل كل منهما (من قد يسكن ويدخل كل منهما بغالبها) أي وصف باطني لحال قلوب الداخلين إلى الجنة والنار.

---

[1]– تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي: لعبد الرحيم المبار كفوري، مر: عبد الله محمد عمان، ج 1، دار الفكر للطباعة، (د، ط) ، (د. س) ، ص 238– 239.

[2]– شرح الأحاديث النبوية: محمود المصري، مكتبة الصفا للنشر والتوزيع، 2016، ص 234– 235.

كما في الحديث صورة تقوم على التشخيص والحوار فالجنة شخص يتكلم والنار كذلك، تبدأ النار في الافتخار **بأنها عقوبة لأعداء الله** وأنه يسكنها المتكبرين والمتجبرين، وترد الجنة بأنها راحة لأولياء الله تعالى إذ يدخلها ضعفاء الناس وسقطهم، وهنا يقر الله أنه لكل منهما طبيعتها، فيقطع افتخارهما بإضافة العذاب والرحمة إليه فيقر أن الجنة رحمة يرحمها من يشاء والنار عذاب يعذب به من يشاء، فيقر بهذا أن الجنة رحمة والنار عذاب.

ب–بلاغة الحديث وطاقته الحجاجية:

في هذا الحديث استعارة تمثلت في قوله صلى الله عليه وسلم **(تَحَاجَّتِ الجنةُ والنارُ)** حيث شبهت "الجنة والنار" بالإنسان الذي يتخاصم مع غيره ويحتج في أمره، فحذف المشبه به (الإنسان) أي استعار النبي عليه صلوات الله هنا لفظة (الاختصام والاحتجاج) التي هي من خصائص الإنسان واستق منه الفعل (تحاج) لان هذا ما يلائم المستعار منه (الإنسان) والمستعار له (الجنة والنار) وقد وردت عبارة **(تَحَاجَّتِ الجنةُ والنارُ)** استعارة ولم ترد تشبيها لأنه قد حذف المشبه به وترك لازم من لوازمه ألا وهو "الاختصام" على سبيل الاستعارة المكنية[1] لتعبر عن اختصام الجنة والنار وافتخارهما بمن يسكن كل منهما (جليل حالهما) .

ففي الحديث تظهر صفتان تحدد من خلالها أهل الجنة وأهل النار

الصفة الأولى: الجنة يدخلني الضعفاء والمحتقرين وهي صفة تشير إلى الانكسار والتواضع أي يدخل الجنة المساكين والفقراء من الناس، والضعفاء والمحتقرين منهم والساقطون في أعينهم وهذا بالنسبة إلى ما عند كثير من الناس، أما بالنسبة إلى الله تعالى فهم عظماء رفعات الدرجات، لكنهم عند أنفسهم لعظمة الله عندهم وخضوعهم له ولخوفهم ولطلب مرضاته في غاية التواضع لله والذلة في عباده.

[1]– جواهر البلاغة: مرجع سابق ص 241.

فوصفهم بالضعف والسقط بهذا المعنى صحيح، غير أن الجنة تتساءل عن سبب هذه الصفة فيجيبها الله تعالى (أنت رحمتي أرحم بك من أشاء)[1].

أما الصفة الثانية: النار يدخلني الجبارون والمتكبرون، وهي تشير إلى صفة التكبر والتجبر، ويدخل تحت هذه الصفة المتكبرون والجبارون والمتعاظمون بما ليس فيهم، وتتساءل النار عن سبب هذه الخاصية فيجيبها الله (أنت عذابي أعذب بك من أشاء).

كما عدت الاستعارة المكنية "تحاجت الجنة والنار" ضمن الحديث خروج عن مقتضى الظاهر إذ عبر عنها بصيغة الماضي وسياق الحديث وظاهره هو المستقبل، فتخاصم الجنة والنار لم يحصل بعد وإنما سيحصل لقوله: " أنت عذابي أعذب بك من أشاء... ولكل منكما ملؤها" فهي عبارة تدل على المستقبل فحفل الحديث بعبارات كان الغرض منها لفت انتباه المتلقي.

فحجت الاستعارة المكنية هنا **(تَحَاجَّتِ الجنةُ والنارُ)** من آليات الإقناع التي تظهر كأنها حاضرة أمام القارئ مجسدة أمام عينه وكأن الأحداث حاليا أمام سمعه وبصره، لتكون حجا داحضة يتداخل فيها الإقناع بالإمتاع كما فيها من التكرم والرحمة الإلهية إذ يصور لنا رسول الله أهل كل من الجنة والنار يحكيها ويصور مشاهدها (التحويل والتشديد) كأننا نشاهدها ونشعر بها فنحزن ونخاف من غضب الله ونتأكد ونقتنع بأن الحساب حق، فهذه آلية من آليات الإقناع التي تحدث في السامع والقارئ نوعا من الثبات وطرد الشك والتزام اليقين.

فبطريقة الحوار بين الجنة والنار وفي رد الله لهما في صورة وصفية تحقق بعدا جديدا يقنع المخاطبين بأن وجود الجنة ووجود النار وجودا فعليا وحقيقيا.

فتكون النار مستقر للمنافقين الكافرين، والجنة مستقر للتائبين، المستضعفين، المؤمنين، ففي هذا الوصف الرائع وتبيان لأهل وحال الجنة والنار ورد الله استخدم الحديث القدسي لآلية حجاجية تعتمد على الحوار ومن شأنها أن تجذب المتلقين نحو المتكلم والإبقاء عليه دون ملل فهو مشارك فاعل وهو من سيصل في النتيجة إلى الإقتناع والتسليم بالحجة عن رضا،

[1]–الأحاديث القدسية مع شرحها: عبد القادر عرفات العشا حتونة، دار الفكر للطباعة بيروت، (د.ط)، 2008، ص 516.

فاعتمد هنا على الحوار الاستفهامي الذي يفيد استنطاق المخاطب وجذب انتباهه لمعرفة سبب الاستفهام عن هذا سبب وجود المستضعفين من الناس في الجنة ووجود المتكبرين في النار.

فجعل الرسول صلى الله عليه وسلم خطابه للقارئ خطابا قويا اظهر فيه قوة حجاجية الاستعارة من خلال إبراز المعنى وتشخيصه.

فالقارئ لهذا الحديث يكاد يرى المعنى المراد بعينه لا بعقله، وهكذا فالاستعارة ليست مجرد مجاز يحيل إلى فضاء تخيلي في اللغة بل هو عملية استبدال وتحويل داخل الوعي بنفسه.[1]

فالاستعارة المكنية حققت البعد الحجاجي المؤثر في المتلقي من خلال التشخيص وهو الجزء الضمني الغير ظاهر في الحديث فشخصت هذا المفهوم الذهني وجعلته مرئيا يسهل استيعابه، إذ المتلقي المخاطب استحضر الصورة لكل ما فيها من رهبة وخوف كما أن استعمال الرسول صلى الله عليه وسلم وتوظيفه هذا التركيب الاستعاري الحجاجي في خطابه كونه أبلغ من الحقيقة إذن فالاستعارة الحجاجية تهدف إلى إحداث تغير في الموقف الفكري أو العاطفي للمتلقي.[2]

ومن خلال هذا الوعي تتم آلية الحجاج بالاستعارة عن طريق تحويل المعنى المتخيل إلى صورة حسية غالبا تفضي بنا إلى التخييل فيتم لفت ذهن المتلقي وبالنتيجة تعطي للخطاب قوته الدلالية التأثيرية ضمن بنية إيضاحية تصويرية لتغيير مسار الذهن وتحفيز المتلقي بصورة أعمق لذا عدت الاستعارة أكثر تأثيرا وأبلغ من التشبيه.[3]

ولا شك أن المتلقي قد تأثر واقتنع من خلال حجاجية الاستعارة بفلسفة الحساب والبعث وأنه لا حياة في الدنيا عبثا، وأن الإنسان لا يحتقر ضعفاء الناس لأن أكثر أهل الجنة ضعفاء.

---

[1]– أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي (تنظير وتطبيق على السور المكية): مثنى كاظم صادق، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1 ،2015، ص 177.

[2]– استراتيجيات الخطاب: مرجع سابق، ص 495.

[3]– اسلوبية الحجاج التداولي البلاغي: مرجع سابق، ص 177.

2/- النموذج الثاني:

حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا الزهري عن سعيد بن المَسب عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»[1]

أ- شرح الحديث:

يتمحور الحديث حول النهي عن التذمر من الزمان لأنه يؤدي إلى سب الله، فقد كان أهل الجاهلية قديما إذا أصابتهم مصيبة أو حرموا غرضا معينا أو لم تتحقق لهم مصلحة دنيوية يسبون الدهر ويلعنون الزمان فيتهمون الأقدار بأنها حالت بينهم وبين ما أرادوا فيقولون "يا خيبة الدهر" ولما جاء الإسلام نهى عن كل العادات السيئة التي كانت في الجاهلية فجاء هذا الحديث القدسي للرد على هذه القناعات والتصورات الشائعة الخاطئة وفي هذا الحديث يخبرنا الله أن ابن آدم يؤذيه ويوصل إليه المكروه بأن يقول في حقه تعالى ما يكره بسبب سب الدهر،[2] فإنما يسب في الحقيقة الذي أبدع هذه الأمور وقَدَّرها حتى وإن أضاف الفعل إلى الدهر فإن الدهر لا فعل له، وإنما الفاعل هو الله هو رب الدهر المعطي المانع المعز المذل، بيد الله الأمر يقلب الليل والنهار أي يحددهما ويذهب الملوك والجبابرة، أما الدهر فليس له من الأمر شيء إلا الرضوخ لأمر الله (لا اختيار له) فمن ذم الدهر فقد ذم الله.[3]

وانطلاقا من الحديث وبسبب تهرب الإنسان من مسؤوليته وتذمره من الزمان عن طريق سبه للدهر يرتكب جملة من المفاسد أي يتضمن سلوكه خطرين.

الخطر الأول: سب ما ليس أهلا للسب: فالدهر خُلق مسخرا من خَلْقِ الله منقادًا لأوامره، فمن سبه هو الأولى بالسب والذم وليس الدهر، وسب الدهر يتضمن العودة إلى الرب (لأنه

[1]- الصحيح المسند: مرجع سابق، ص 236.

[2]- النفحات السلفية شرح الأحاديث القدسية: محمد منير الدمشقي، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة،(د، ط)، (د، س)، ص 327.

[3]- جامع الأحاديث القدسية: مج1، ج 1، مرجع سابق، ص 131- 132.

المتصرف والمتدبر) فكان هذا مغضبا لله لذلك عبَّر الله تعالى عن غضبه لهذا الذي يسب الدهر (يؤذيني) والإنسان أحقر من أن يؤذي الله، ولكن الأذى هو الغضب والسخط وهذا الخطر يرجع للناحية الاعتقادية لأن الدهر لا يفعل شيئا، إنما الله تعالى هو صاحب الدهر وخالقه يقلب الليل والنهار[1]، أي السب يتضمن الشرك بالله وضعف الإيمان بالقضاء والقدر إذا اعتقد الناس أن الدهر ينفع ويضر.

الخطر الثاني: أن هذا السلوك في الحياة يبرر ويسوغ الهزيمة للإنسان ويفتح له الباب كي يبررها بعامل مجهول يتستر به ويدرأ عن نفسه الإهمال والتقصير، فهو لا يعتبر نفسه مسؤولا عن نتيجة ما يعمله، بل يعظمها ويجلها عن ذلك ولا يستطيع أن ينحي باللوم على فرد معين إذ يظهر عندئذ بطلان قوله وزور كلامه فيرجع بالملامة على الدهر والزمان.

فالحديث يعالج هذه المشكلة من مشاكل الإنسان علاجا تربويا، يبن فيه خطورة هذا المسلك، وأنه مغضب لله تعالى، ويعلم المسلم أن يكون ذا أخلاق عالية يجعله يتحلى بالشجاعة في مواجهة الحقيقة لا الهرب منها أو اعتماد المراوغة والكذب لأن الإنسان المسلم الذي يجاهد نفسه على التربية الأخلاقية التي تضمنتها السنة سيكون صالحا سويا.[2]

ب–بلاغة الحديث وطاقته الحجاجية:

في الحديث صورة بيانية تتمثل في الاستعارة في قوله **(ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ)** حيث شبه الله الدهر بالذات الفاعلة التي تشتم، ولكنه حذف المشبه به وأبقى على لازمة من لوازمه تدل عليه بعد حذفه وهي لفظ (السب)، على سبيل الاستعارة المكنية فحذف المشبه به سيتطلب إعمال الخيال والعقل معا للوقوف على حقيقته، والغرض من هذه الاستعارة هو التنبيه والتحذير من سب الدهر، لأن الله هو المحرك للزمن ولكل الكون بما فيها الدهر، فمن سب الدهر فقد سب فاعله وهو الله عز وجل.

---

[1]– في ظلال الحديث النبوي (ومعالم البيان النبوي): نور الدين عتر، ط 1، دار السلام للصناعة، القاهرة، 2013، ص 236.

[2]– المرجع السابق، ص 237.

فعند النظر في المعنى الحقيقي والمباشر للكلام من خلال الحديث نراه يتمحور حول (أن ابن آدم يذم ويشتم الزمان والحظ كما يشتم غيره من العباد)، وهذا التعبير متداول عند عامة الناس ولا يثير أي اضطراب أو انفعال، كما لا يحدث أي تأثير لدى المتلقي أو المخاطب، أما المعنى المجازي في الحديث والمتمثل في الاستعارة المكنية (يسب الدهر) فإنه يحمل معنى جديدا في اللفظ بسب ما أحدثته الصورة البيانية من دلالة ومعنى لم يكشف عنها اللفظ الحقيقي في استعماله (فهو يشير إلى تحذير من سب الذات الإلهية وإلى حسن التأدب مع الله عز وجل وعدم مس الإله بسوء في وصف)، كما أراد التأكيد على وحدانية الله وقدرته وهذا انطلاقا من انه من سب الدهر على اعتبار انه مدبر الأمور فقد نسبه إلى الله تعالى على اعتبار أنه خالق الدهر وما فيه فابن آدم يَسُبُ من فعل هذه الأمور والله فاعلها فإذا سب الدهر فمقصوده سب الفاعل وأن أضاف الفعل إلى الدهر فالدهر لا فعل له وإنما هو الله وحده بمعنى أن القول الاستعاري أثر بقوته البلاغية على المحاج (المتلقي) فكانت له القدرة على الإقناع والتأثير كما ساهم في بناء المعنى وتوضيحه وتقويته فالقول الاستعاري يتميز عن القول الحرفي بكونه يؤدي عدة وظائف في عملية التخاطب وعمليتي الفهم والتأويل بين المتكلم والسامع ولذا فإن القول الاستعاري يعد آلية حجاجية بامتياز.[1]

فالحجاج بهذه الاستعارة جعل المتلقي يدرك الخطر الحقيقي من هذا السلوك المتمثل في سب الدهر وهو **إيذاء الله عز وجل وقد ظهر هذا في قوله (يؤذيني ابن آدم)** وهو إشارة إلى التذمر والسخط وعدم الرضا بقدر الله للإنسان، كما أنه بسبه من ليس أهلا للسب فإن الدهر خلق مسخر من خلق الله كما يعد سبه متضمن الشرك، فالدهر ليس له أمر في الضر أو النفع فمسبته هي مسبة لله عز وجل فإذا اعتقد العبد أن الله وحده هو الذي فعل ذلك وهو يسب من فعل هذا فهذا **يُعَد سب الله تعالى،** وإذا اعتقد أن الدهر فاعل مع الله فهو **مشرك.**

[1]– البلاغة العربية بين الامتاع والإقناع: مسعود بودوخة، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2018، ص 136.

إن لهذه الاستعارة المكنية تأثيرا وجداني كان له أثره في الصناعة الحجاجية فقد أثر على المخاطب وجعله ينظر إلى مرتكب هذا السلوك اللاأخلاقي بأنه ارتكب سوءا بشركه وعدم وحدانيته وسلكه اللاأخلاقي الموجه إلى ذات الله عز وجل وإلى قدرته وواسع فضله فهو حجاج جعل العقل يدرك والقلب يحس فيدفعانه كليهما إلى الإقتناع خاصة أنه شارك في تحفيز الذهن للبحث عن المشبه به المطابق للكلمة المفتاح في هذه الاستعارة فتوارت تصورات من ذا الذي يؤذي الله؟ وما الطرق التي أذى بها الله ربه؟ وهل الدهر هو الله؟ كل هذه التساؤلات استثارت مشاعر المتلقي فحاول إدراك إجابات، فاقتنع بالخطر الذي وصل إليه ابن آدم من خلال لا مبالاته وتكراره ونسيانه للفعل ولنتائجه المترتبة عليه.

وفي الشاهد (ابن آدم يسب الدهر) لغة مجازية عن فعل قبيح حفَّزَ الذهن للتفكير فيه (لدى المتلقي) – – وفي مختلف أساليبه فكان على المخاطب أن يطابق الصورة بما يعرفه في بيئته – لأن هذا الحديث يناقش مفردات يدركها البشر وبأفعال من طباعهم – وهذا الجهد العقلي جعل المتلقي يتخيل الألفاظ التي قد تصدر عن الجاحد كإيذاء قولي (في جانبها الصوتي) كقوله **تبا للحظ، يا خيبة الدهر**... إضافة إلى تخيل الصورة البصرية إذ ينطبع في ذهنه مشهد لهذا السلوك كحركة الجاحد وهو يَسُبْ (ارتفاع الحاجب، حركة اليد، ارتفاع الصوت...) وعليه كان للتصوير الحسي دورا برهانيا حجاجيا صريحا فأعطى المعاني التجريدية معنى ووضعها في صورة حسية ملموسة أدت إلى إدراكها والاقتناع بحدوثها وبمحاولة تعديلها بتجنبها.

فهذه الاستعارة الحجاجية لها قوة وطاقة إقناعية أثارت مشاعر المتلقي ووجدانه من خلال ما حملته من روح الإشفاق على مسببي هذا الأذى القولي.

فكانت سببا في التلميح لهم بأنه سلوك ينافي وحدانية الله (الشرك به) وهذا إن كان سببا فهو سبب الضعف الديني (ضعف الإيمان).

وقد اعتمد في الحديث على أساليب حجاجية تساهم في لفت انتباه المتلقي واستثارة ذهنه منها: استعمال الأسلوب الخبري الذي يخرج الظاهر إلى معناه الخفي ويؤدي إلى لفت الانتباه والتشويق والذي كان غرضه النهي عن السب.

وابتداء الحديث بجملة فعلية (خبرية) جعلت المتلقي يتشوق لمعرفة من ذا الذي يؤذي الله وغرضه تقريب الحقيقة وتثبيتها (مجاز).

إضافة إلى اعتماد الحديث على الإحالة والتي لها دور كبير في ربط النص بإطاره الحجاجي وربط المتلقي بالحديث، حيث أحال الله سبحانه وتعالى عن نفسه بضمير المتكلم (أنا، الياء) في قوله (يؤذيني، أنا الدهر) فأوضح أن ابن آدم (وهو إيحاء لكل البشر الذين هم عرضة للخطأ) قد أذاه، وهذا الأسلوب لكي يذكره بالتواضع ولمعرفة أصله وطريقة إيجاده، ومن موجده، فيتنبه إلى الإقرار بوحدانية الله، إضافة إلى استخدام التكرار في كلمة (الدهر، أنا الدهر) للفت الانتباه وإثارة المتلقي وبهذا تحقق البعد الحجاجي المؤثر في المتلقي من خلال إدراكه وفهمه لحجاجية الاستعارة المكنية التي تفيد شرح المعنى وتفعل ما لا تفعله الحقيقة، وتفيد تأكيد المعنى والمبالغة فيه، والإيجاز كما أنها طريقة للتوليد والتجديد لأنها تكشف عن صور جديدة ومعان بعيدة، وهذا من خلال استثارة المتلقي وإدراكه لغاية الطاقة الحجاجية إذ أدرك المتلقي أن كل الأمور بيد الله عز وجل فكل ما يحصل بقدرته، وأن الدهر لا يؤثر في شيء كما أنه تلميح بوحدانية الله وتفرده، كما أدرك أن حجاجية الاستعارة المكنية نبهت إلى محاولة تصحيح العقيدة من خلال الكف والنهي عن السب وإيذاء الله، وتوجيه عظيم إلى تفاؤل الإنسان بالحياة التي هي أساس الإيمان بالله الذي خلق هذه الدنيا وسخرها له، فاستطاع الله أن يبلغ مراده للمتلقي من خلال فهمه للمقصد الأساسي وهو وحدانية الله.

وهكذا يكون للأبعاد الحجاجية للاستعارة دور في إسهام المتلقي لإنتاج جزء من الصورة ذلك هو الجزء الضمني غير الظاهر في الحديث، فوجه المتلقي مباشرة إلى المراد من خطابه.

فبلاغة المعنى في هذا الحديث أعطت لها قوة حجاجية ساهمت في المعنى وتوضيحه مما يؤثر في نفس المحاج، فيقتنع بالحجة الموجودة سبب وجود القول والحجة الدامغة.

3/– النموذج الثالث:

عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «: إنَّ اللهَ عزّ وجلَّ ليقول للملائكةِ : انطلِقوا إلى عبدي فصبُّوا عليه البلاءَ صبًّا ، قال فيأتونه فيصبون عليه البلاء صَبًا، ، فيحمدُ اللهَ ، فيرجعون فيقولون : يا ربَّ إنَّا صبَبْنا عليه البلاءَ صبًّا كما أمرْتنا ، فيقول : ارْجِعوا فإني أُحِبُّ أن أسمعَ صوتَه»[1]

أ/– شرح الحديث:

المراد بالصب هنا العرض والإلقاء، أي اعرضوا وألقوا يا ملائكتي على عبدي فلان البلاء ليختبر ويمتحن ليظهر خيره أو شره لغيره، وقد سمى الله تعالى التكاليف الشرعية بلاء لأن التكاليف كلها مشاق على الأبدان فصارت من هذا الوجه بلاء، ولأنها اختبارات قال الله عز وجل « **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ»** "سورة محمد الآية 31" واختبار الله لعباده تارة يكون بالمسار ليشكروا وتارة بالمضار ليصبروا فصارت المحنة والمنحة جميعا بلاء، فالمحنة مقتضية للصبر، والمنحة مقتضية للشكر، وإضافة العبد إليه عز وجل هو لتعظيمه وتشريفه إذ بين أن العبد المصبوب عليه البلاء حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، فكان قابلا للبلاء متعرضا له بدون أن يظهر إساءته وكراهيته له، بل يتسع صدره له وهو حامد شاكر مظهر الثناء على الله والرضا به ومعاناة غيره عن الابتلاء.[2]

[1]– جامع الأحاديث القدسية: مج 3، ج 5، ص 76– 77.

[2]– الاتحافات السنية بالأحاديث القدسية: عبد الرؤوف المناوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،(د، ط)،(د، س) ، ص 102– 103.

ب/– بلاغة الحديث وطاقته الحجاجية:

هذا الحديث استعارة تتمثل في قوله صلى الله عليه وسلم: (**فصبُّوا عليه البلاءَ صبًّا**)، فقد شبه البلاء بالشيء الذي يصب فحذف المشبه به واستعار صفة من صفاته وهي الفعل (يَصبْ) فقد استعار النبي صلى الله عليه وسلم هنا لفظة (يصب) التي هي من خصائص الأشياء السائلة القابلة للصب، واشتق منها الفعل (صب) لأن هذا ما يلاءم المستعار منه (شيء سائل قابل للصب)، والمستعار له (البلاء) وقد وردت عبارة "صب عليه البلاء صبًا" استعارة ولم ترد تشبيها لأن الاستعارة هي التي اختفى فيها لفظ المشبه به واكتفى بذكر شيء من لوازمه دليلا عليه، على سبيل الاستعارة المكنية لتعبر عن إنزال الله سبحانه وتعالى الابتلاءات على عباده من أجل اختبار إيمانهم.

وهي قول حقيقي و(صبوا عليه البلاء صبًا) قول مجازي وبما أنها استعارة فقد كانت لها قدرة إقناعية حجاجية أقوى من القول الحقيقي للتعبير عن دعوة وإقناع الناس في أن البلاء هو درس من دروس التوحيد والإيمان والتوكل لأنه يطلعك عمليا على حقيقة نفسك لتعلم أنك ضعيف لا حول لك ولا قوة إلا بربك، فتتولك عليه حق التوكل وتلجأ إليه حق اللجوء.

فالقول الاستعاري في الآية (يصب عليه البلاء صبًا) له قوة حجاجية عالية مقارنه بالقول العادي (أنزل عليهم المصائب) بمعنى أن القول الاستعاري له قوة بلاغية وقدرة على التأثير والإقناع يحرك ذهن المتلقي للبحث عن المعنى غير المباشر الكامن وراء المعنى المباشر، إذ المتلقي يصل إلى المعنى من خلال عملية الاستدلال يقوم بها الذهن في بين ربط طرفي الاستعارة، فالصورة الاستعارية تختزن قوتها الحجاجية فيما تقوم به من أعمال الذهن حيث أن الاستعارة قياس مضمر إحدى مقدمتيه،[1] فهي تعمل في النفس عمل السحر (تحرك وتفجر، كما تلطف وتهون).

[1]– الحجاج ووسائله البلاغية في النثر العربي القديم: أيمن أبو مصطفى، سلسلة الرسائل الجامعية الناتجة، (د، ط)، (د ت)، ص 172.

إذ لحجاجية الاستعارة قيمة كبيرة ومقدرة عظيمة في إقناع المتلقي بالفكرة وتثبيتها في الذهن إذ بهذا النوع من التصوير الحجاجي يتحقق الإفصاح عن مكنون العواطف والإبانة عن عنق الإحساس والمشاعر والأفكار بشكل لا يستطيع التعبير العادي بلوغه أو الوصول لغايته وهدفه، إذ يمكن للمتلقي من الغوص داخل أعماقه، وإخراج معانيه الضمنية والتأثر بها.

فالاستعارة من وسائل الحجاج التي يمارس من خلالها نوع من الضغط للإقناع والتأثير حيث يقول "الجرجاني": فقد حصل من هذا الباب أن الاسم المستعار كلما كان قدمه أثبت في مكانه، كان موضعه من الكلام أضمن به، وأشد محاماة عليه وأمنع لك من أن تتركه وترجع إلى الظاهر بالتشبيه فأمر التخيل فيه أقوى ودعوى المتكلم له اظهر وأتم"،[1] وعليه فالاستعارة لفظ يؤخذ من معناه الحقيقي إلى معنى آخر غير معروف به.

إذ تقوم الاستعارة بدورها الحجاجي الإقناعي من خلال إظهار المعنى المقصود منها والمتمثل في: الصبر على الابتلاء والرضى بقضاء الله وقدره فالله عز وجل وضع الإنسان موضع امتحان ليختبره، وليختار بإرادته الخلود في النعيم عن طريق الطاعة واقتضى ذلك أن يقلبه على ألوان وصور وأنواع، شيء مما يحبه ومما يكره ليشكر فيما يحب فلا يطغى ولا يكفر، ويصبر فيما يكره فلا يضجر ولا يكفر، فجعل الله البلاء متعدد المظاهر حيث قال تعالى: « **لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا** » آل عمران الآية 186

فكان التصوير الاستعاري طريق سلكه الله ورسوله واستعان به على إقناع المخاطب بقيمة الصبر وأنه وسيلة لتحمل الابتلاء وتخطي المصاعب، فالمبتلى لابد له أن يتحلى بالصبر والعزم على تحمل المصاعب فيقنع أنه الحل وأنه الملاذ لكل مصاب، فكانت الاستعارة كقوة حجاجية تسعى إلى توجيه المتلقي وحثه على الصبر عند الابتلاء لأن في ذلك ثواب عظيم لأن الملائكة أعرضوا وألقوا البلاء على العبد لامتحانه واختباره ليظهر خيره من شره، وليشعر

[1]- أسرار البلاغة: الجرجاني، مرجع سابق، ص 279.

الإله بقدرته وبمقدار محبته من عبده عن سماع صوته وهو يبتهل ويدعو لربه ليرفع عنه البلاء.

فالإيمان هو التصديق بالغيبيات والرضا بالقضاء والقدر، والاستسلام لأوامر الله لذا لابد على العبد العاقل أن يتلقى البلاء والمصائب بكل حواسه بصدر رحب وقلب مطمئن بالإيمان والصبر والاحتساب فيزول ذلك عنه قريبا دون أن يمسه أذى.

وفي هذا الحديث صورة بيانية بليغة الجمال والدقة (الاستعارة المكنية) شخصت لنا المعنى وصورته بصورة موحية لتعبر عن حمد الإنسان على الابتلاء بأسلوب فني معجز يخاطب الحس والوجدان إذ تم تشبيه المعقول بمحسوس لتتمثل تلك الهيئة المعقولة في ذهن السامع، كما أنها أظهرت فرح الإله بحمد عبده على ابتلائه، فالله عز وجل إذا أراد بعبد منزلة لم يبلغها بعمله قال ان صبوا عليه البلاء، فيبتلى ويصبر فيزداد منزلة في الجنة فتشخيصه زاد من تأكيد المعنى في ذهن المتلقي وساهم في إقتناعه.

كما اعتمد النبي الكريم على أغراض بلاغية كالتكرار حيث أنها مرتبطة بالدلالة التي تحملها فنجد التكرار في "صبوا عليه البلاء صبا" وتكرار (البلاء) وغرضه التأكيد فالرسول يكرر كلامه من أجل إيصال الفكرة والتأكيد عليها في ذهن المتلقي.

وعليه كانت حجاجية الاستعارة المكنية في قوله (صبوا عليه البلاء صبا) مقوم حجيجي إقناعي يعمل على التأثير في المتلقي ودفعه إلى الالتزام بالصبر واحتساب الأجر عند الابتلاء، فتميزت هذه الاستعارة بطاقة حجاجية تعمل على إقناع المتلقي وتغيير موقفه الفكري والعاطفي اتجاه القضية المطروحة في هذا الحديث فأراد المخاطب إيصال فكرته أن الابتلاء هو تحقيق العبودية لرب العالمين لأنه يزيد الإيمان ويزيد العبد قوة وصلابة، فيعلم أنه ملجأه فنزول البلاء بالمؤمن يورث في قلبه تعظيم لله وإبانة بالرجوع إلى الله كما فيه تمحيص للقلوب فيختبر ما فيها من نفاق وإيمان وضعف إيمان.

فكانت الاستعارة كحجاج لها الدور الفعال في التأثير في المتلقي وتغير مبادئه وأفكاره حول الابتلاء.

4/– النموذج الرابع:

من حديث عائشة رضي الله عنها، قال الله تبارك وتعالى: «عبادٌ لي يلبسون للناس مُسُوك الضأن، وقلوبهم أمرُّ من الصبر، وألسنتهم أحلى من العسل، يختلون الناس بدينهم، أبي يغترُّون؟ ، أم علي يجترئون؟ فبي أقسمت :لألبسنَّهم فتنة تذرُ الحليم فيهم حيران »[1]

أ–شرح الحديث:

في هذا الحديث يصف صلى الله عليه وسلم عباد يخرجون في آخر الزمان، هم المراءون يبطنون مالا يظهرون، فيكون في ظاهرهم الرحمة وفي باطنهم العذاب، يسمع الناس منهم كلاما معسولا يخدعهم، يعملون الأعمال الصالحة ليعتقد الناس فيهم الخير والصلاح ويظنوهم العلماء ليدفعوا إليهم الأموال لخدمتهم وليس في نيتهم الإخلاص بدين بل جذب المال والجاه،[2] فأقسم الله على أن يجازيهم جزاءا يليق بهم فكان هذا الحديث تعريفا للمؤمنين بالرياء الذي يحصل في آخر الزمان، زمان اختلاط الحابل بالنابل، وكثرة الغشاوة على القلوب حذر فيه من إتباع هؤلاء المراءين ومن إدعاءاتهم الكاذبة، ونبه عباده المؤمنين إلى إعمال العقل لتمييز الخبيث من الطيب، كما أظهر الحديث أن هؤلاء المخادعين ضعفاء إزاء انتقام الله لهم وهو عذاب عاجل وعذاب في الآخرة.[3]

ب –بلاغة الحديث وطاقته الحجاجية:

[1]– جامع الأحاديث القدسية، مرجع سابق، ج 1، ص 98.

[2]– دراسة بلاغية نبوية مختارة: فاطمة محمد النجار، مجلة الزهراء، ع 29، ص 1629– 1630.

[3]– في ظلال الحديث النبوي، مرجع سابق، ص 304.

في هذا الحديث صورة بيانية تتمثل استعارة في قوله تعالى: **(لألبسنَّهم فتنة)**، حيث شبه الفتنة باللباس (الثوب) الذي يرتديه الإنسان، حيث تجعل صاحبه في صراع حيران فحذف المشبه به، وأبقى على قرينة دالة عليه وهي الفعل "ألبسه" على سبيل **الاستعارة المكنية.**

فهذه الاستعارة حجاجية لما تحويه من تقرير وإثبات عن طريق المحسوس القريب من أذهان البشر، حيث بين الله عز وجل صورة الفتنة التي تهاجم هؤلاء العباد ولا يجدون منها مخلصا، فيحتار الحليم العاقل المتأمل منهم، فيجعله هذا لا يدري ما يصنع، وهذه بلية يرسلها الله عليهم ليكون ذلك درسا رادعا لكل عاقل أن يفكر بهذا الطريق الوخيم.[1]

فبين الحديث حجاجية الاستعارة من خلال تأكيد الله وقسمه أنه سوف يتكفل بمعاقبة هؤلاء المدعين، فكانت للاستعارة قدرة على التأثير والإقناع حيث صورت للمتلقين الموقف وجعلته يستحضر المشهد كأنه يحدث أمام العين، كما بين الحديث وأقر تنبيه الله عز وجل لعباده من صفات الرياء التي لا تتوقف على الكذب والتظاهر فقط بل إفساد القلوب التي جعلت الدين أداة للمكاسب المادية (استغلال الماكرون لخصوصية الدين الذي هو وقاية من الخطر ووسيلة للسعادة وجعلها أداة صيد يتوصلون بها إلى أغراضهم الدنيوية).[2]

القوة الحجاجية لهذه الاستعارة تُظهر قوة وتأثير الفتنة التي سيصيبهم بها الله، بحيث تكون شديدة لدرجة تجعل الأشخاص الحكماء عاجزين عن فهمها، أو التصرف حيالها، مما يعزز الحجة بأن العقاب سيكون شديدا أو عادة، وبالتالي فإن الاستعارة في هذا الحديث تعمل على تقوية الحجة ضد هؤلاء الأشخاص من خلال إبراز التناقضات بين مظهرهم الخارجي وباطنهم الداخلي، وكذلك من خلال تسليط الضوء على خطورة تصرفاتهم وعواقبها.

والاستعارة في عبارة "فبي أقسمت لألبسنهم فتنة تذر الحليم فيها حيران" تحمل قوة إقناعية كبيرة، ويمكن تحليل ذلك من خلال عدة نقاط:

---

[1]- المرجع السابق، ص 305- 306.

[2]-المرجع نفسه، ص 304.

_ تجسيد الفتنة كلباس: الاستعارة هنا تجعل الفتنة شيئا ملموسا يمكن ارتداؤه، مما يسهل تصورها وفهم مدى شمولها وتأثيرها، هذا التجسيد يساعد المستمعين على تخيل الفتنة كشيء لا يمكن الفكاك منه أو التهرب منه، مثلما لا يمكن خلع الملابس بسهولة.

_ تأثير العاطفة: تصوير الفتنة كلباس يلامس جوانب حسية وعاطفية، مما يزيد من التأثير العاطفي للحديث، الفتنة ليست مجرد موقف او اختبار عابر بل هي شيء محيط بالشخص بشكل دائم، مما يثير الخوف والرهبة من قوتها وتأثيرها.

_ التأثير الشديد حتى على الحكماء: حيث الاستعارة هنا تشير إلى أن الفتنة ستكون شديدة لدرجة أنها تترك حتى الأشخاص الحكماء "الحليم" في حالة من الحيرة والتشتت، هذا يبرز مدى خطورة الفتنة ويعزز الحجة بأن العواقب ستكون وخيمة على الجميع، بغض النظر عن حكمتهم أو تقواهم.

_ تسليط الضوء على قوة العقاب الإلهي: استخدام القسم بالله "فبي أقسمت" يعطي الحديث سلطة ومصداقية إضافية، القسم بالله يعزز الجدية والحتمية في العقاب الموعود، مما يجعل الرسالة أكثر قوة وتأثيرا، هذا يوضح أن الفتنة ليست مجرد تهديد عابر، بل هي عقاب إلهي محتوم وجدي

_ التصوير البليغ والمقنع: أي استخدام الاستعارة يجعل الرسالة أكثر بلاغة وإقناعا، حيث أن اللغة التصويرية تساعد في إيصال الفكرة بشكل أقوى وأعمق مما لو كانت الكلمات مجردة، عندما يقال إن الفتنة "تذر فيهم حيران" يمكن للمستمعين تصور الفوضى والحيرة بشكل أكثر وضحا، مما يجعل الرسالة أكثر تأثيرا وإقناعا.

_ إبراز التناقض والتأثير المزدوج: أي أن الجمع بين الحيرة والحلم في نفس الجملة يبرز التناقض الكبير الذي ستسببه الفتنة، الحليم عادة ما يكون هادئا ومسيطرا على نفسه، لكن الفتنة ستجعله حيرانا ومشوشا، هذا التناقض يوضح مدى تأثير الفتنة ويعزز الإقناع بخطورتها.

وفي النهاية الاستعارة في هذا الحديث تعمل على تقوية الحجة من خلال تجسيد الفتنة بشكل ملموس، إثارة العواطف وتوضيح خطورة العواقب، مما يجعل الرسالة أكثر وضوحا وقوة وتأثيرا على المستمعين.

5/- النموذج الخامس:

عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

«إنَّ اللهَ زوَى لي الأرضَ فرأَيْتُ مَشارِقَها ومَغارِبَها فإنَّ أُمَّتي سيبلُغُ مُلْكُها ما زوَى لي منها وأُعطِيتُ الكَنزَيْنِ: الأحمرَ والأبيضَ، وإنّي سأَلْتُ ربّي لِأُمَّتي ألَّا يُهلِكَها بسَنةٍ عامَّةٍ وألَّا يُسلّطَ عليهم عدوًّا مِن سوى أنفسِهم فيَستبيحَ بَيْضَتَهم وإنَّ ربّي قال: يا مُحمَّدُ إنّي إذا قضَيْتُ قضاءً فإنَّه لا يُرَدُّ وإنّي أُعطيكَ لِأُمَّتِكَ ألَّا أُهلِكَهم بسَنةٍ عامَّةٍ وألَّا أُسلّطَ عليهم عدوًّا...»[1]

أ-شرح الحديث:

إن هذا الحديث مسوق للبشارة والتحذير معا، فيه إخبار بما لم يقع فوقع، فمن الإعجاز عنه أنه لا ينطق عن الهوى، وهو حديث يدل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا ربه دعوة استجيبت له، فأراد إدخال السرور بها على أمته ليعلموا كرامتهم على الله ويزدادوا معرفة بقدر رسولهم، وقد دل على أن الدعوة مستجابة في آخر النص، كما فيه تحذير مما يخشى وقوعه بين المسلمين من التقاتل.[2]

ومن الأخبار التي جاءت في الحديث أن الله لما زوى للنبي الأرض رأى ان الأمة الإسلامية ستتوسع **(سيبلُغُ مُلْكُها ما زوَى لي)** وأنه سأل لأمته: أن لا يهلكها بسنة عامة فأعطاه هذا أي لا يهلكها قحط يعم جميع بلاد المسلمين وسأله أن لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فاستجاب وسأله أن لا يضيق بعضهم بأس بعض فمنعها وقد حذر الرسول صلى الله عليه

[1]– الصحيح المسند: مرجع سابق، ص 151.

[2]– تحقيقات وأنظار في القرآن والسنة: محمد الطاهر بن عاشور، مج 1، دار السلام، القاهرة، ط2 ،2008 ص 97.

وسلم من التحاق قبائل من المسلمين بالمشركين (تعبد الأوثان) ومن أن يوضع السيف فإن وضع لن يرفع إلى يوم القيامة وأنه يخرج كذابون يزعم انه نبي لكن تبقى طائفة تقاتل على الحق.[1]

ففي الحديث تحذير لأمته من الافتتان بزخف الحياة الدنيا وأخبرهم أن ملك أمته سيشتمل العالم كله بعد أن تجهدهم الفتن الكثيرة والتي تمثلت في تسلط الأعداء عليهم بالإضافة إلى اختلافهم فيما بينهم حتى حد الاقتتال وكثرة الفرق الضالة التي تزعم أنها الحق ثم يأتي أمر الله ويمكن لهذه الأمة بعد هذه المحن، إضافة إلى عدم تأثرهم بقحط أو وباء أو قلة مطر، فكان الحديث دالا على تحريم القتال بين المسلمين وإهلاك بعضهم ودعاهم لأن يكونوا أمة واحدة لكي يخشاها الجميع، فكان الحديث مزج بين التبشير والتحذير.

ب –بلاغة الحديث وطاقته الحجاجية:

في الحديث صورتان بيانيتان تتمثلان في الأولى: **الاستعارة** في قوله صلى الله عليه وسلم (إن الله زوى لي الأرض) زوى لي الأرض بمعنى جمع لي الأرض، قبضها لي حتى أراها، وهذا من معجزات نبوته، قال القرطبي «معناه أي جمعها حتى أبصرت ما تملكه أمتي من أقصى المشارق والمغارب منها»[2]

فقد استعار النبي لفظة (زوى) الذي هو خاصية الأشياء المرنة للأرض فشبه الأرض بشيء مرن (يقبض ويجمع) فحذف المشبه به (الشيء المرن) ورمز إليه بلازمة من لازمه (الزوي) على سبيل الاستعارة المكنية والقرين إثبات الزوي للأرض تكشف عن قدرة الله وعلى مكانة نبيه والمسلمين لديه، فالحجة في الحديث (إن الله زوى لي الأرض) استعارة حجاجية تعني ان الله عز وجل قوى بصيرة الرسول عليه الصلاة والسلام ورفع عنه الموانع المعتادة فأدرك البعيد من موضعه، فَعَلِمَ أَنَ مُلكَ أُمته يَبْلغ من مشارقها ومغاربها.

[1]– الأحاديث القدسية الصحيحة: زكرياء عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1997، ص 340–341.

[2]– الأحاديث القدسية وشرحها: مرجع سابق، ص 440.

والقول الاستعاري في الحديث (زوى لي الأرض) له قوة حجاجية مقارنة بالقول العادي (قبض لي الأرض حتى أراها) إذ أثر بقوته البلاغية في المحاج، فكانت له القدرة على التأثير والإقناع، وكان له الدور في تحريك ذهن المتلقي للبحث عن المعنى غير المباشر الكامن وراء المعنى المباشر، **حيث أكد ميسيل لوقرن:** "أن قوة الحجاج في المفردات تبدو في الاستعمالات الاستعارية أقوى مما نحسه عند استخدامنا لنفس المفردة بالمعنى الحقيقي إن للاستعارة ذات الدور الحجاجي خاصية ثابتة فالسمات الدلالية المحتفظ بها في عملية التخيُّر الدلالي الذي تقوم عليه هذه الاستعارات هي سمات قيمة"[1]

حيث نجد أن الحديث يريد إيصال فكرة معينة إلى المتلقي فنجده انتقى ألفاظا مناسبة لما يريد أن يعبر عنه.

ولنا أن نقف في هذا المشهد في تصور الحوار الحجاجي الذي حدث بين الله عز وجل ونبيه والذي يدل على معجزاته.

فالصورة الحجاجية جعلت نفس المتلقي تنفعل فكما كان لجمع الأرض وبسطها لرؤيتها مثيرا للدهشة لمعجزة الله عز وجل كانت هذه الاستعارة المكنية حجة في حد ذاتها إذ جعلت المتلقي يتشوق لمعرفة الغاية من زوي الأرض لنبيه الكريم، فجاء الجواب صريحا في قوله: "فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي ستبلغ ملكها ما زوي لي منها" وهذا يعني أن الأمة التي استجابت للرسول صلى الله عليه وسلم سيبلغ ملكها ما زوى للرسول منها.

فالحديث يحمل استعارة وهي صورة توحي باستجابة الله سبحانه وتعالى بدعوى نبيه، من خلال أنه زوى له الأرض، وفيه لفت للنظر العميق يبعث على الشك والبحث، كما أنها صورة يستحضرها المخاطب بكل ما فيها من رهبة وخوف فهي صورة شخصت حال رؤية رسول الله عليه الصلاة والسلام لامتداد الدولة الإسلامية ولمعجزات الله، مما جعل الصورة الحجاجية لها قدرة التأثير في المتلقي والتغيير من قناعته، فهذا أدى به إلى الاطمئنان.

[1]– الحجاج مفهومه ومجالاته: مرجع سابق، ص 137.

ولأن النبي صلى الله عليه وسلم يؤمن أن المخاطَب (التابعين) يؤمنون بالملموس ابتدأ خطابه بحجة لإثارة انتباههم ولإعمال أذهانهم لفهم المعنى الضمني من هذه الحجة للوصول إلى المعنى المقصود.

فالخطاب انتقل إلى المؤمن ليحاجج على مقدرة الله ووحدانيته، وإعجاز الله وتبيين قدرته التي لا يحدها حدود، فكان المعنى الضمني لحجته طمأنة المؤمنين أن الدين الإسلامي هو دين الحق وأنه لن يزول أي دائم، لهذا اعتمد المخاطب لإيصال حجته على أسلوبي الترغيب والترهيب (الخوف والرجاء) أي الخوف من الله والاحتماء به والفرار إليه وهو نتاج التوحيد وتحقيق العبودية، كما انه إشارة وعد وغفران وهروب من اليأس في شكل طمأنة للمسلمين بأن وحدانية الله لا تزول.

فاعتمد النبي صلى الله عليه وسلم لإنجاح العملية الحجاجية على الوحي لأن حجته هي حجة الله، حيث بين للمتلقي تنبؤات ومعجزات ستحصل (وقد حصلت) فاعتمدت الصورة على مخزون حجاجي مشترك وهو الواقع الإسلامي الذي بين معجزات الله في خلقه والمعجزات السابقة عن نبيه، أي اشتراك المتلقي بذهنه إلى الإقتناع عن طريق استدلاله بقصص السابقين وعرض أحوالهم فاستثارت هذه الحجة المتلقي لهذا نجد أن هذه الاستعارة اعتمدت في حجتها على التجريد اللغوي موظفة التدبر العقلي فهو خطاب إقناع وإمتاع يراعي توازن النفس البشرية فيوازن بين العقل والعاطفة ليكون تأثيره في المخاطبين أقوى بتوظيف قوة الأفعال العملية لتغيير المفاهيم والمعتقدات وتوجيه السلوكيات.

وقد اعتمد المخاطب على قدرة المتلقي على إنجاح العملية الحجاجية لقيامه بفعل الرؤية والإنتاج، فاعتمد على أسلوب استمالة واستدراج المتلقي، الشيء الذي يدفع إلى محاولة إدراك الغاية من الحجة الاستعارية لذلك شخص الخطاب بالمشاعر العاطفية، وفي هذا يقول أرسطو: إن عامة الناس يتأثرون بعقولهم فهم في حاجة إلى وسائل الأسلوب أكثر من

حاجتهم إلى الحجة فلا يكفي إذن أن يعرف المرء ما ينبغي أن يقال بل يجب أن يقوله كما ينبغي"[1]

ولتأكيد وإثبات حجاجية الصورة اعتمد الرسول صلى الله عليه وسلم على التوكيد (بأن) في قوله (إن الله زوى لي الأرض) أكد من خلالها المعنى المقصود وبين للمتلقي أن الله سبحانه وتعالى قد أمده بقدرة رؤية امتداد الدولة الإسلامية وسيطرة الإسلام على أغلب الأرض، حيث بين انتشار الدين الحنيف ووصوله إلى مشارق الأرض ومغاربها.

فهذا تبشير ومعجزة من معجزاته عليه السلام، وتشجيعا للداخلين في دينه وطمأنينة لهم، وتقريرا بدوام هيبتهم بين الأعداء فاستخدام التوكيد لتوثيق كلام الرسول إذ شاهد ما سيفتحه من بلاد وما سيحققه من انتصارات في سبيل نشر الدعوة وإعلاء كلمة الله وإقامة دولة لها كيانها وعظمتها أمام الأمم.

ففي الحديث دعوة صريحة تفهم من سياق الكلام هي دعوة للتمسك بالإسلام ونيل العزة في ظله أولا وآخرا، فالواقع هنا هو الشاهد على هذا التنبؤ وهو الذي سيحدد وضعية الإسلام والمسلمين في آخر الزمان كما قدرها الله عز وجل، وبهذا التجسيد للمعاني يحقق المخاطب نجاعته بمخاطبته وجدان المتلقي وفكره معا بعد ربطه للخطاب مع الواقع الذي استمد طاقته الحجاجية منه، فأظهرت الاستعارة كقوة حجاجية المقصود وأسهمت في زرع الثقة في نفوس المؤمنين وفي المتلقي فلمست إحساس المتلقي وصورت له الموقف مما جعل انتباهه وتركيزه يتوجه نحو محاولة الإقرار بوحدانية الله وبقوته والاعتقاد بحجة نبيه.

كما أن الاستعارة المكنية كانت خروج عن مقتضى الظاهر إلى المعنى الحقيقي المراد منه وهو التشويق ولفت الانتباه، كما أن الحديث إعلام بأمر مفاده أن الله عظيم بقدرته وتلميح بوحدانية الله، وببقاء الدين إلى آخر الزمان.

ج – بلاغة الحديث وطاقته الحجاجية في الصورة البيانية الثانية :

[1]– في بلاغة الخطاب الإقناعي: محمد العمري، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1986، ص 88.

في الحديث صورة بيانية ثانية هي الاستعارة في قوله **(فيَستبيحَ بَيْضَتَهم)** فقد شبه الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين وعزهم وسلطانهم المنيع بالبيضة ثم استعار اللفظ الدال على المشبه به (البيضة) للمشبه (اجتماع المسلمين) والقرينة هنا استباح على سبيل **الاستعارة التصريحية**، إذ ذكر في الكلام لفظ المشبه به فقط وأريد به المشبه.[1]

فقد شبه الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين بالبيضة فحذف المستعار له (المسلمين) وصرح بالمشبه به لوجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي وهي من ملائمات المشبه، والجامع بينهما (سهولة التأثر) فالبيضة سهلة الانكسار مما يتطلب الرفق بها للحفاظ عليها وكذلك المسلمين انكسروا وتفرقوا إذا لم يحافظوا على وحدتهم.

والمراد باستباحة بيضة المسلمين، تصير بيضة المسلمين مباحة للعدو والمسلط ومعنى صيرورة البيضة مباحة أن لا يبقى لها من القوة والعزة ما يمنع العدو من تناولها والتمكن منها.[2]

والبيضة هنا: الجماعة (بيضة المسلمين) معظمهم وجماعتهم وفي الصحاح بيضة كل شيء حوزته، وبيضة القوم ساحتهم.[3]

وأصل البيضة: لامة الحرب التي تلبس على الرأس لتقيه ضرب السيوف مثل المغفر، ثم أطلقت على العزة مجازا لأنها سبب العزة في الحرب أن يكون آمنا من إتلاف نفسه ثم أطلقت على الأمر الذي تجتمع عليه الأمة وله قوامها وبقائها والجامعة في اعتبار الإسلام (جامعة الدين) أي الأرض التي يقطنها طوائف المسلمين.[4]

أراد النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الخطاب الحجاجي أن يقنع المخاطب ويظهر له أن اجتماع الأمة هو أساس بقائها فإذا لم تتوحد زالت واندثرت وسهل للعدو إزالتها لذا استعمل

---

[1]– جواهر البلاغة: مرجع سابق، ص 220.

[2]– تحقيقات وأنظار: مرجع سابق، ص 97.

[3]– الأحاديث القدسية وشرحها: مرجع سابق، ص 441.

[4]– المرجع السابق، ص 98.

الاستعارة التي تحوي على الخيال وتشارك ذهن المتلقي في الموضوع فجعل من الاستعارة مادة محسوسة تحقق تأثيرا وتشويقا للإنسان، لذلك رجع الله الكلام الغير المباشر على المباشر، وجعل المتلقي يحلق بخياله ويدرك ما المقصود وما يختبئ تحت قشور الألفاظ وجعله يشحذ ذهنه في ما تذهب إليه الصورة الاستعارية، فالاستعارة تكتسب تداوليتها من التأثير الذي تحدثه في المتلقي في سياق معين حتى وإن صدرت عن موقف المتكلم وموقعه وموضعه الاجتماعي وانتمائه الأيديولوجي فهي تقضي بالمتلقي إلى الوعي والحصول على التجربة المعادلة للسلوك والمحاولة من الانفعال إلى الفعل.[1]

فالحجاج بهذه الاستعارة التصريحة يفضي إلى إدراك الخطر الحقيقي من تفكك جماعة المسلمين.

إذ في هذه الصورة إشارة إلى ما ينبغي أن تكون عليه الأمة من اجتماع واتفاق والتئام حتى لا يقدر العدو على استباحتهم.

فالاستعارة كقوة حجاجية جعلت نفس المتلقي تنفعل للمشهد خاصة عند تجسيده الحسي بالصورة وجعله شيء ملموسا حيث جسد الملموس بالملموس كما كان تجسيده دافعا إلى التأثير النفسي على المتلقي الذي يثير فيه نوع من الفزع خوفا من انكسار هذه البيضة عن طريق تقاتل أفرادها فهذا تنبيه من الله عز وجل لنمو رغبة المجتمع في المحافظة على وحدته والفزع من ضياعها (تفتتهم).

فالمتلقي للخطاب سيقنع وسيباشر الامتثال للأوامر بفعل ما به لحفظ الإسلام من الزوال والمسلمين من التشتت.

فهذه الاستعارة التصريحية لها تأثير وجداني كبير كان له أثره في الصناعة الحجاجية حيث شارك في الحجاج في عملية ذهنية تبحث عن سبل المحافظة على الأمة الإسلامية.

---

[1]– اللغة ودلالتها، تقريب تداولي للمصطلح البلاغي: محمد سويرتي، عالم الفكر، الكويت، ع 3، مج 28، 2000، ص 41. 42.

وقد كانت القوة الحجاجية للاستعارة التي عدت من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم أثر كبير في التأثير على المتلقي إذ كان الحديث عن سؤال النبي ودعوته لأمته فكانت الاستعارة كحجاج ردا كان من ورائه إظهار أن الأمة الإسلامية باقية ولا تخلو الأرض من قائم لله بحجته ولو حصل ضعف في مكان حصلت قوة في آخر، لكن الشيء الذي قد يحصل هو كون بعضهم يقتل بعضا أي لن يوجد عدو ليس من المسلمين يستبيح بيضتهم ويقضي على الإسلام والمسلمين لأن الإسلام باق وعزيز، ولكنه يكون قويا في بعض الأزمان ودون ذلك في بعض الأزمان، لكن اعتمد المخاطب على شرط وتقييد لبقاء اجتماع المسلمين وسلامتهم هو أن لا يهلك بعضهما بعضا ولا يسبى بعضهم بعض فإذا وقع هذا (إذا تقاتلوا) فإنه يسلط عليهم الله عدوا من سوى أنفسهم.

فكانت الاستعارة التصريحية طاقة حجاجية أثبت وجودها وتأثيرها على المتلقي انطلاقا من تحريم القتال بين المسلمين وإهلاك بعضهم بعضا لتبقى هيبتهم بين الناس، وقد شخصت الاستعارة ، إذ الواقع يثبت أن الأمة الإسلامية حين كانت عونا أمة واحدة كانت عونا في الحق ضد الباطل، ولما تفرقت وصار بعضهم يهلك بعضا سلط الله عليهم عدوا من سوى أنفسهم وأعظم من سلط (التتار) فقد قتلوا في بغداد أكثر من 500 عالم في يوم واحد.[1]

6/- النموذج السادس:

عن أبي مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

« عجِب ربُّنا مِن رجُلينِ: رجلٍ ثار عن وِطائِه ولحافِه مِن بينِ حِبِّه وأهلِه إلى صلاتِه رغبةً فيما عندي وشفقةً ممَّا عندي، ورجلٍ غزا في سبيلِ اللهِ فانهزَم أصحابُه وعلِم ما عليه في الانهزامِ وما له في الرُّجوعِ فرجَع حتَّى أهُريقَ دمُه فيقولُ اللهُ لملائكتِه: انظُروا إلى عبدي رجَع رجاءً فيما عندي وشفقًا ممَّا عندي حتَّى هُريقَ دمُه»[2]

[1]– شرح الأحاديث القدسية، مرجع سابق، ص 407.

[2]– جامع الأحاديث القدسية: مرجع سابق، ص 201.

أ-شرح الحديث:

قال صلى الله عليه وسلم **(عجِب ربُّنا مِن رجُلينِ)** العجب هنا بمعنى الاستحسان والرضى وليس هم بمعنى تعجبا، فإنه لا يليق بالله تعالى وهو المنزه عن النقائص والانفعالات وغير ذلك من الخلق،[1] والقصد أنه عظم ذلك عنده منهما، فالله عز وجل عجب من رجلين أي لنوعين من الرجال.

النوع الأول: رجل ثار وترك فراشه أو ما ينام عليه بهمة ونشاط وكشف لحافه وغطائه، تاركا أهله وأحبته قائما للصلاة ليصلي تقربا لله عز وجل والصلاة هنا هي قيام الليل أي وقت راحة الناس (صلى خلوة لله) فيقول الله لملائكته، مفاخرا ومباهيا بعبده، أنظروا إلى عبدي ثار من فراشه تاركا وراءه من أحب في الدنيا قائما إلى الصلاة رغبة فيما عندي من ثواب وأجر طالبا للجنة والرضى طامعا في لقائي وخائفا مما عندي من عذاب وجحيم ومن سخطي.

النوع الثاني: رجل غزا في سبيل الله فانهزم أصحابه ووضحت الهزيمة فعلم ما عليه من الإثم أو العذاب إذا فر، ومن عقاب الله والذل، فرجع وقاتل بشجاعة غير مبال، فعلم ما له من الثواب والجزاء في محاربة الكفار حيث قتل ليفوز بالشهادة فيقول الله لملائكته مباهيا به، أنظروا إلى عبدي رجع طالبا لما عندي من الأجر والثواب وخوفا من العذاب والعقاب، وعليه هذا الحديث يبين فضل من باع نفسه لله تاركا لذة الدنيا ومتاعها طامعا في مرضاة الله.

كما بين فضل قيام الليل ودعا إلى الاقتداء به بتحديد عظمته وفضله كما بين فضل الغزو في سبيل الله فكلها أفعال لوجهه الكريم طمعا في الجنة، وخوفا من غضبه وسخطه.

ب -بلاغة الحديث طاقته الحجاجية:

[1]- الأحاديث القدسية مع شرحها، مرجع سابق، ص 83.

في الحديث صورة بيانية تتمثل في **الاستعارة التصريحية** في قوله صلى الله عليه وسلم **(ثار عن وِطائِه ولحافِه مِن بينِ حِبّه وأهلِه إلى صلاتِه)** في كلمة (ثار) حيث استعار الثورة للقيام، فشبه قيام الرجل من فراشه (في ليلة باردة) تاركا دفئ فراشه وراحة ولذة فيه ليصلي رافضا البقاء فيه (رافضا النوم والراحة) نشطا مسرعا لأداء الصلاة (صلاة الليل) بالثورة والقرينة هي (الإسراع نحو غاية مرجوة والنشاط والهمة)

أي استعير اللفظ الدال على المشبه به (ثار) للمشبه (قام) على سبيل الاستعارة التصريحية والقرينة (عن وطائه ولحافه).

لكن القول الحقيقي (القيام من وطائه وفراشه) و(ثار عن وطائه ولحافه) قول مجازي فقد كان المجاز له قدرة وقوة إقناعية أقوى من القول الحقيقي للتعبير عن قوة إيمان المصلي وإخلاصه في محبة الله عز وجل كما الاستعارة التصريحية (ثار عن وطائه ولحافه من بين حبه وأهله إلى صلاته) تحمل بعدا حجاجيا، يكمن في إدعاء أن لفظ (ثار) يحمل في ذلته معنى الاندفاع، التمرد، الإسراع، الغضب، الانتفاضة وغيرها من المعاني التي نجدها في معنى الثورة التي تعني الاندفاع، والتمرد، الانفجار، الغضب.

كما أن لفظة (ثار) في الاستعارة التصريحية (ثار على وطائه ولحافه من بين حبه وأهله إلى صلاته) تدل على أنه ثار بحماسة وبقوة ونشاط وبعزم على القيام لصلاة الليل محاربا لكل وسوسة ولكل لذة قد تلهيه عن هذه الصلاة فكان رافضا لكل راحة واستسلام للنوم.

فهو من عباد الرحمان الذين ينقطعون عن مشاغل الدنيا سعيا للثواب ودفعا للعقاب فجاء لفظ (ثار) معبرا معجزا عن لفظ قام.

إن لهذه الاستعارة التصريحية (ثار على وطائه ولحافه من بين حبه وأهله للصلاة) تأثيرا وجدانيا كبيرا كان له أثره في الصناعة الحجاجية فقد جعل المتلقي ينظر إلى التهجد في الليل والقيام إلى الصلاة ليلا دفعا للعقاب وطلبا للثواب والمغفرة، فهو سبيل إلى القيام بشكر نعمة الله على عبده، كما انه سبب في تكفير سيئات العبد ومغفرة ذنوبه، زد على هذا

يعرض صاحبه للنفحات الإلهية وسببا في إجابة دعائه واعطائه سؤله وقت نزول الرب عز وجل إلى السماء الدنيا، إنه يحصل لصاحبه الثواب المضاعف فقليله يزيل الغفلة ، وكثيره يجلب له قناطير الأجر، فالمسلم له شرف مناجاة الله تعالى في ظلمة الليل (ثلثه).

كما كانت الاستعارة التصريحية حجة في حد ذاتها فكانت حجة للعمل بمقتضاها حيث جعل النبي صلى الله عليه وسلم بخطابه المتلقي يتشوق إلى ما الذي جعل هذا الرجل ينتفض من فراشه ويترك راحة النوم ولذاته فيتساءل عن سبب هذا بينه وبين ذاته فيأتي الجواب من الله عز وجل (رغبة فيما عندي وشفقا مما عندي) أي رغبة في العفو والرضا والرحمة والأجر، وخوفا من سخطه ومن جهنم والابتلاء، فكان الإقناع والامتثال من المتلقي لأن حجة الحديث تحمل على التشويق وعلى الإقناع.

فكانت الحجة الاستعارية التصريحية تدفع المؤمن إلى الامتثال لها ودعوة لعدم الغفلة وترك الصلاة.

وقد استعار المخاطب هذه الصورة من واقع البيئة العربية المسلمة للحجاج للحقيقة التي فيها أناس يتغافلون عن الصلاة فجاءت الحجة دليلا على وجود العباد الذين لا ينتظرون أية لذة مادية عن حب الله وطلب مرضاته.

فجاء هذا الحجاج دعوة للاقتناع بشعيرة قيام الليل لما فيه من أجر لصاحبه ورضا وحب الاقتداء بها والسير على طريق المؤمنين الصالحين.

فكان لفظ (ثار) في الاستعارة التصريحية له أثر حيث أقام ثورة حركت العقل والقلب لدى المتلقي وقد عبر عن هذه الاستعارة بالمحسوس، إلى المحسوس أي شخصَ النبي عليه الصلاة والسلام هذه الاستعارة مما قربها إلى ذهن المتلقي وأثارت وجدانه لما لها من أثر على حياته الدينية وانعكاسها على حياته الدنيوية (الراحة والسكينة) وبهذا تحقق البعد الحجاجي المؤثر في المتلقي من خلال التشخيص فأصابت الاستعارة التصريحية موضعها.

يتبين مما سبق عرضه أن للاستعارة وظيفة حجاجية قوية وعالية في الحديث القدسي، إذ استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم في لغته ليس لكونها تضيف إلى الحديث القدسي جمالا وسحرا، بل باعتبارها إقناعية تجعل المتلقي يقتنع كونها تمتلك قدرة تأثير في نفس المتلقي وتحريك لمشاعره وعواطفه وحمله على الاقتناع بواسطة الانتقال من المجرد والمعنوي إلى ما هو حسي من جهة ومن جهة أخرى فإنها تستمد صورتها من المحسوس فهي إذن مبالغة في التشبيه بإيجاز.

وقد اعتمد النبي في حديثه القدسي على أنواع الاستعارة المكنية والتصريحية لما امتازت به كل منهما، فالاستعارة التصريحية جسدت المعنويات في صور حسية يعبر بها عن المعنى الذهني أو الحالة النفسية مما يكون له الأثر البالغ في نفس المتلقي، أما الاستعارة المكنية فامتازت بتوظيف التجسيم والتشخيص فجسمت الأمور المعنوية إلى زيادة التأمل بأوصافها ومعرفة أسرارها، فالتجسيم والتشخيص من أميز صفات الاستعارة في الأحاديث القدسية وفيها من الابتكار ودقة الخيال وتقريب المعنى، فضلا عن ما يحدث من أثر في النفس وتحريك للمشاعر خاصة عند ارتباطها بالأمور الغيبية التي يصعب تصورها بالعقل.

المبحث الثاني: حجاجية التشبيه.

يعد التشبيه من الأساليب البلاغية التي تعمل على تقريب المعاني في ذهن المرسل إليه وإزالة الغموض عنه، وتعد بلاغة التشبيه في قدرته على التصوير والتجسيم أو التقديم الحسي للمعنى حيث يقول **ابن الأثر:** "إبراز المعنى الموهوم إلى الصورة المشاهدة" وسند عبد القاهر لهذا التصور دورا برهانيا حجاجيا إذ توحي هذه الصورة من خيالات في ذهن المتلقي حين يجد نفسه في مواجهة صورة تدركها حواسه فلا يمكنه إنكارها أو الشك في حقيقتها[1].

[1]- اللغة العربية بين الإمتاع والإقناع، مرجع سابق، ص137-138.

وقد وردت هده الآلية في عدة أحاديث من الحديث القدسي سنحاول أن نوضح البعد الحجاجي والإقناعي فيها، من بينها:

1/-النموذج الأول:

عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « **إذا كان يومُ القيامةِ قامَت ثُلَّةٌ من النَّاسِ يسُدُّونَ الأُفُقَ نورُهم كالشَّمسِ، فيُقالُ النَّبيُّ الأمّيُّ فيتحَسَّسُ لها كلُّ نبيٍّ فيُقالُ: محمَّدٌ وأمَّتُه ثُمَّ تقومُ ثُلَّةٌ أخرى يسُدُّ ما بينَ الأُفُقِ نورُهم كالقمَر ليْلةَ البدرِ فيُقالُ النَّبيُّ الأمّيُّ فيتحَسَسُ لها كلُّ شَيء فَيُقالُ مُحمدٌ وأُمَّتِهِ ثُمَّ تَقُومُ ثُلَّةٌ أُخْرَى يَسُد مَا بَيْنَ الأُفُقَ نُورُهُمْ مِثْلَ كَوْكَبٍ فِي السَّمَاء فَيُقَالُ: النَّبِيُّ الأُمِّيُّ، فَيَتَحَسَّسُ لَهَا كُلُّ شَيء، فَيُقَالُ: مُحَمّدٌ وَأُمَّتُهُ، ثُمَّ يحثى حَثْيتينِ فيُقالُ هذا لك يا محمَّدُ وهذا منّي لك يا محمَّدُ ثُمَّ يُوضَعُ الميزانُ ويُؤخَذُ في الحسابِ**»[1]

أ-شرح الحديث:

من خلال هذا الحديث نستنتج انه يعد من أهم الأحاديث التي تبين فضل أمة الإسلام يوم القيامة، حيث يشير إلى ثلاثة مواقف عظيمة تظهر مكانة هذه الأمة عند الله تعالى، ففي الموقف الأول يبعث نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم ومعه ثلة من المؤمنين أو جماعة من الناس، وقد اختلف العلماء في عددهم فقيل أربعون ألفا وقيل سبعون ألفا وقيل مئة ألف يسدون الأفق أي يملأونها نورهم كنور الشمس بمعنى شدة التوهج والضياء، فيسأل الملائكة عنهم فيقال لهم هذا النبي الأمي محمد وأمته، فيدل هذا الجزء من الحديث على عظم منزلة أمة محمد يوم القيامة وفضلهم على سائر الأمم وشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأمته.

أما الموقف الثاني تظهر فيه ثلة أخرى من المؤمنين تملأ ما بين الأفق بكثرة عددهم نورهم كالقمر ليلة البدر وهذا يدل على صفاء قلوبهم وإيمانهم، فيسأل الملائكة عنهم فيقال لهم هذا

[1]- الصحيح من المسند في الأحاديث القدسية: مرجع سابق، ص 148.

محمد وأمته وهذا يدل على عظمة مكانة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأمته وأهمية الإيمان به.

ففي الموقف الثالث يبعث نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم ومعه ثلة أخرى من المؤمنين نورهم يملا الأفق كالكواكب في السماء أي يبعث الأمل في قلوب المؤمنين ويشجعهم على العمل الصالح ليكونوا من هذه الثلة العظيمة التي تملأ وتضيء نورهم كالكواكب.

ثم يكرم الله تعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بكيلتين من الحسنات ويوضع الميزان ويؤخذ في الحساب.

فالنتائج المتحصلة من هذا الحديث هي علو مكانة النبي محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، وفضل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم بإعطائه حثرتين من الجنة وعدالة الله تعالى في الحساب.

ب –بلاغة الحديث وطاقته الحجاجية:

يتضمن هذا الحديث عدة تشبيهات منها **المرسل والمجمل** اعتمد عليها الرسول صلى الله عليه وسلم لتوضيح مكانته العظيمة عند الله تعالى ومكانة أمته ففي قوله **نورهم كالشمس** هنا **تشبيه مجمل** فقد شبه المجموعة الأولى من الناس وشدة وقوة إيمانهم بنور الشمس، وحذف وجه الشبه لأن قيمة التشبيه تزداد وظيفته كلما كان فيه حذف لأحد الأركان وذلك لأنه يشد المدارك ويكون للعقل حضور حيث يحاول أن يسد المكان الفارغ ولاشك في أن المتلقي لهذه الصورة يكتشف ما فيها من جمالية وقوة حجاجية، وقوة الحجاج في هذا التشبيه تكمن في أن إيمان المجموعة الأولى كنور الشمس فهو يضيء النهار وهذا يبين أن عدد هذه المجموعة كنور الشمس.

أما التشبيه الثاني نجده في قوله صلى الله عليه وسلم **نورهم كالقمر ليلة البدر** هنا **تشبيه مرسل** فقد شبه المجموعة الثانية بالقمر ليلة البدر فذكر الأركان كلها، وقوة الحجاج في هذا التشبيه تكمن في أن إيمان هذه المجموعة بعدد نور القمر ليلة البدر حيث يختلف نوره في

هذه الليلة عن باقي الأيام، فالتشبيه بما أنه مرسل كامل الأركان مما يجعله قريبا من فهم المتلقي، فالغرض التوضيحي ظاهر فيه، إذ يدل هذا على صفاء قلوب وإيمان هذه المجموعة.

كما نلمح تشبيها آخر في قوله صلى الله عليه وسلم **نورهم مثل كوكب في السماء** فهذا **التشبيه مرسل** أيضا، أي أن المجموعة أكثر عددا من المجموعتين السابقتين فقد عقد الشبه بينهما وبين الكوكب في السماء، فضوءه ينير الأرض كاملة فالرسول صلى الله عليه وسلم يبعث الأمل في قلوب المؤمنين ليكونوا مثل هذه المجموعة العظيمة، فقد استخدم التشبيه المرسل كأداة مثل هذه المجموعة العظيمة، فقد استخدم التشبيه المرسل كأداة للإقناع والحجاج وتقريب المعاني للأذهان وتوضيح مصير أمته.

وتكمن وظيفة التشبيه في الحديث القدسي على وظيفة البيان والتوضيح وتقريب المعاني إلى الأفهام بعقد المشابهة والمماثلة بين الأشياء في العالم الخارجي، فوظيفة التشبيه الأساسية هي أن يخرج الأغمض إلى الأوضح ويقرب البعيد ويجعل المجرد والمعنوي حسيا مرئيا، وذلك تبعا لحاجة المتلقي إلى التوضيح والتبسيط،[1] ونجد التشبيه يسهم في الإقناع والحجاج وهو عقد صلة بين صورتين ليتمكن المرسل من الاحتجاج وبيان حججه[2]، فالتشبيه يؤسس لأفكار ودلالات ينبغي إيصالها إلى ذهن المتلقي، وبهذا نصل إلى الربط بين العنصر الجمالي والتأثير فيه وعنصر الدلالة والإقناع المعبر عنه في الحجاج.[3]

فحجاجية التشبيه في هذا الحديث تظهر في استخدام المقارنات لوصف الأشياء وإيصال المعاني المرادة، ويتم استخدامه لتوضيح قوة وجلال نور المؤمنين في يوم القيامة وذلك من خلال مقارنتهم بالشمس والقمر والكوكب، ثم يأتي الجزء الختامي من الحديث، حيث يقول

---

[1]– الخيال والمشابهة في البلاغة العربية: العربي الذهبي، فكر ونقد مجلة ثقافية شهرية، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، السنة الثانية، ع17، مارس 1999، ص 91.

[2]– استراتيجيات الخطاب، مقاربة تداولية لغوية: مرجع سابق، ص 497.

[3]– إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي، مكتب رحاب، الجزائر، (د، ط)،(د، س)، ص 279.

"**هذا لك يا محمد وهذا مني لك يا محمد**" هذا الجزء يستخدم حجاجية التشبيه للتعبير عن الحب والتقدير للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، حيث يقدم له هديتين تعبران عن العلاقة الخاصة والمحبة بين المتكلم والنبي وباستخدام حجاجية التشبيه في هذا الحديث يتم إبراز البلاغة والإيحاء وإضافة الجمالية والعمق على النص، مما يعزز قوة وتأثير الرسالة التي يجملها ويثير الاهتمام والتأمل لدى القارئ أو السامع.

حيث يتضمن هذا الحديث مجموعة من الصفات في يوم القيامة.

الصفة الأولى: وهي **النور الساطع** حيث يذكر ان هناك ثلة من الناس في يوم القيامة تسد الآفاق بنورهم المشرق، ووصفتها بأنها تشبه قوة وسطوة الشمس حيث هذه الصفة ترمز إلى النور الإلهي والتوهج الروحي الذي يتمتع به الأشخاص المؤمنون.

أما الصفة الثانية: وهي **الاحترام والتقدير** حيث يذكر الأنبياء سيتحسسون لهذا النور الساطع، ويعرفون أنه ينتمي للنبي محمد وأمته، هذا يعكس الاحترام والتقدير العالي الذي يحظى به النبي وأمته عند الأنبياء الآخرين.

والصفة الثالثة هي **التفوق الروحي** بحيث يذكر أنه ستنشأ ثلة أخرى في يوم القيامة ونورهم يشبه قمر ليلة البدر مما يشير إلى روحانية وإشراقة خاصة تميزهم وتجعلهم يبرزون بين الناس ومرة أخرى يتعرف الأنبياء على هذا النور ويعرف انه ينتمي للنبي محمد وأمته.

أما الصفة الرابعة وهي **الهدية والمكافأة** حيث يذكر أن الله سيمنح البني محمد هديتين إحداهما منه والأخرى من الأنبياء الآخرين، وهذا يعكس الثواب العظيم الذي سيعطى للنبي محمد على جهوده وتضحياته في الدعوة إلى الإسلام وقيادة أمته.

والصفة الأخيرة ألا وهي **الحساب والميزان** يذكر انه بعد ذلك سيوضع الميزان وسيتم البدء في الحساب، هذا يشير إلى عدل الله وإقامة العدل الأبدي في يوم القيامة حيث يحاسب الناس على أعمالهم وسيتم تقييمها وفقا للعدل والمنطق الإلهي.

ونستنتج أن هذه الصفات تعكس القدرة والروحانية العظيمة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وأيضا تعكس التقدير والاحترام الذي يحظى به من قبل الأنبياء الآخرين وتذكرنا بأهمية العدل والحساب في الإسلام.

وحجاجية التشبيه في هذا الحديث تعتمد على استخدام الصور البيانية لإيصال المعاني الدينية العميقة بطريقة مؤثرة وفعالة وتكون أيضا هذه الحجاجية في الطريقة التي تستخدم بها التشبيهات لإيصال فكرة عظيمة عن مكانة أمة محمد صلى الله عليه وسلم وعن درجات النور والتكريم الذي ينالونه في الآخرة هذا الأسلوب يجعل المعاني أكثر وضوحا تأثيرا على المستمع، ويعزز الفهم الروحي والتقدير لمكانة المؤمنين الصالحين، واستعمل النبي صلى الله عليه وسلم إستراتيجية لإقناع المتلقين تعتمد على التأثير القوي قصد تحقيق نتائج أكثر، فكان التشبيه حجة لا يشوبها إرغام أو قوة، وإنما تخلق هذه الصورة عالما يقودنا إلى الاقتناع، لأنها تحقق لنا منفعة، ويحقق التشبيه في الحديث البعد الحجاجي من خلال تقديم صور بليغة ومؤثرة تجسد معاني الكثرة والنور والهداية والفضل الإلهي مما يجعل الرسالة الدينية أكثر إقناعا وتأثيرا في نفوس المستمعين.

2/- النموذج الثاني:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل: « كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ له، إلَّا الصِّيَامَ؛ فإنَّه لي، وأَنَا أجْزِي به، والصِّيَامُ جُنَّةٌ، وإذَا كانَ يَوْمُ صَوْمِ أحَدِكُمْ فلا يَرْفُثْ ولَا يَصْخَبْ، فإنْ سَابَّهُ أحَدٌ أوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ. والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِن رِيحِ المِسْكِ»[1]

[1]- الصحيح المسند: مرجع سابق، ص 167- 168.

أ-شرح الحديث:

يبين الحديث فضل الصوم إذ يعتبر وقاية لصاحبه من المعاصي التي توجب النار والعياذ بالله[1] وهو فريضة من الله على جميع الأمم بل من العبادات الأحب عنده والمقدمة على غيرها، لهذا انفرد الله بعلم جزاءه بنفسه، فأوضح الله أنه حصن من المعاصي والآثام لهذا نهى الصائم عن الكلام الفاحش وعن الصياح والخصام لأنه يؤدي إلى زوال ثوابه، وقد أعلى الله من رتبه عنده عندما اعتبر رائحة فم الصائم أزكى من رائحة المسك.

وقيل في سبب إضافته إلى الله أنه لم يعبد أحد غير الله به، فلم يعظم الكفار في عصر من العصور معبودا لهم بالصيام بل كانوا يعظمونه بصورة الصلاة والصدقة، لهذا عد الصيام من العبادات التي لا يقع فيها الرياء لخفائه مقارنة بالصلاة والحج والصدقة وغيرها من العبادات[2]

ب -بلاغة الحديث وطاقته الحجاجية:

في الحديث صورة بيانية تتمثل في **التشبيه البليغ** وهو ما حذفت فيه أداة التشبيه ووجه الشبه.[3]

شاهده من الحديث قوله صلى الله عليه وسلم "**الصيام جُنَّةٌ**" وهو تشبيه حذفت فيه الأداة ووجه الشبه.

فهو خطاب لمعاذ رضي الله عنه عندما سأله عن أبواب الخير فالرسول عليه الصلاة والسلام عبر عن المعنى بعبارة رائعة بين فيها لمعاذ فضيلة الصوم والمزايا التي يتمتع بها الصائم فشبهه بالجُنَة (بضم الجيم) والتي تعني في اللغة السترة وما يعزر بلاغه هذا التشبيه (البليغ) هو حذف أداته فكان من الممكن القول الصوم كالجنة، ولكن حذف الأداة أبلغ إذ

[1]- قبس من الأنوار الربانية في شرح الأحاديث القدسية: سيد مبارك، المكتبة المحمودية، دار البيان للطباعة، الأزهر، 2000، ص 31.

[2]- شرح أحاديث القدسية: مرجع سابق، ص 502-503.

[3]- جواهر البلاغة: مرجع سابق: ص 268.

يجعل المشبه عين المشبه به، ومن ثم يتيح للطرف الثاني من التشبيه أن يأتي أشهر من الأول وأقوى إثارة في النفس.[1]

فقد شبه من صام لله عز وجل قصدا وحبا ورغبة بالمجن أي الترس والأداة محذوفة ووجه الشبه المنع والاحتجاز في كل والمعنى أن من يصوم لله عز وجل فإن صيامه يمنعه من الوقوع في النار، كما أن الترس يمنع عن الرجل الوقوع في الأذية، فالجُنَّة ما يستجن به العبد كالمجن الذي يقيه عند القتال من الضرب فكذلك الصيام يقي صاحبه من المعاصي في الدنيا فإذا كان له جُنة من المعاصي في الدنيا كان له في الآخرة جُنة من النار.

فحذف الأداة ووجه الشبه أعطى صورة الاختصار فهو يقرب بين المشبه به والمشبه لدرجة أن المتلقي لا يشعر بوجود فرق بينهما، وهذا يجعله يحاول كشف المعنى الحقيقي (المضمر) واستخدامه عن طريق إعمال ذهنه.

فوجه الشبه في الصيام جُنة يوحي بأن الصيام يحمي الصائم من المعاصي ويقيه من الملذات فهو وقاية من الملذات والشهوات التي قد تؤدي به إلى النار.

ولأن التشبيه البليغ يظهر قرب مرتبة الصيام والجنة، هذا كان دافعا للمتلقي لتأويل هذا الجامع، فإذا كانت الجُنة هي السترة التي تقي الجندي في المعركة لصد لعدو فكذلك الصوم يقي الصائم ويمنعه عن الشهوات وعليه يشتركان في أنهما منعا الإصابة بالمكروه والتقدير الصوم كالجنة وفي الوقاية.[2]

فقامت الصورة على نقل المعنى من المعنوي إلى المادي (العقل إلى المحسوس) فساهم هذا في إقناع الأذهان، كما ساهمت هذه الصورة في جعل المتلقي يتجاوز العالم الحسي إلى الغيبي أين يكون الصائم باستغنائه عن الشرب والكل والملذات يقترب من الله عز وجل (يوافق صفات الله).

---

[1]– البلاغة النبوية: دراسة بيانية في الأحاديث الأربعين النوية، محتار هانية ، تحرير أندي محمد أكمل تح: زين الدين المعابدين، مطبعة جامعة علاء الدين، (د ،ط)، (د، س)، ص 60.

[2]– البلاغة النبوية: مرجع سابق، ص 61.

فشأن الصيام كبير عند الله عز وجل حتى أن رائحة فم الصائم الكريهة أطيب عند الله من ريح المسك فهو من السلوكات والأفعال الباطنية التي لا ترى ولا رياء فيها خالصة لله عز وجل لهذا أقر الله بأن الجزاء له.

فالتشبيه قيمة حجاجية كبير، حيث يميل الإنسان بفطرته إلى التأكد من أن السامع استوعب الفكرة تماما إذ يرغب المتكلم أن يشعر بأن السامع أدرك الصورة التي يريد أن ينقلها إليه مثلما أحسب بها هو وشاهدها ويشعر المرء بالارتياح والسعادة إذا استطاع أن ينقل إلى الآخرين ما عنده من فكر وما مر به من تجربة ولذا فإنه يركن إلى التشبيه بوصفه وسيلة حجاجية تمكنه من إيصال المعنى إلى قلب السامع ووجدانه[1] وهذا لكون التشبيه روعة وجمال وموقع حسن في البلاغة وذلك لإخراج الخفي إلى الجلي وإدنائه البعيد من القريب ويزيد المعاني رفعة ووضوحا ويكسبها جمالا وفضلا ويكسبها شرفا ونبلا فهو فن واسع النطاق.[2]

وقد اعتمد المخاطب على بعض الآليات كالتكرار، واستخدام الضمائر لتأكيد فكرته ولاستمالة المخَاطَب، وجعله مشاركا مشاركة ذهنية ووجدانية ويظهر هذا في تكرار (الصيام، الصوم...) غايته استثارة المشاعر للمشاركة بين الرسول والمخاطبين ولتأكيد المقصد الذي أراده من الصورة وهي التأكيد على فضله والنهي عن الرفث أي دعوة إلى المحافظة على أركان الصوم، كما وجدت ضمائر تحيل إلى الله عز وجل قوله (لي، أنا أجزي، إني) ساهمت في الربط بين المخاطب وفضل الصيام الذي أوكل لله عز وجل فقط دون غيرها من العبادات.

فإذا أمعنا النظر وجدنا أن المتلقي قنع بالصورة الحجاجية للتشبيه وأن المخاطب استطاع تقرير فضائل الصوم والتأثير على أحكام وأفكار المتلقي وجعله مساند له ذلك أن شأن الصيام كبير عند الله عز وجل إذ أن رائحة الصائم الكريهة أطيب عند الله من ريح المسك

[1]– الحجاج ووسائله البلاغية في النثر العربي القديم: مرجع سابق، ص 137.

[2]– جواهر البلاغة: مرجع سابق، ص 219.

فهو نية في القلب يخضع بها العبد في غرائزها حتى تصير قريبة من الله محبة له وإيثارا لمرضاته وتقريبا إليه فهذا الصيام الذي يقع بين الإنسان وربه خالص دون رياء.

كما نجد في الحديث صورة بلاغية أخرى تتمثل في **التشبيه الضمني** في قوله " **والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِن رِيحِ المِسْكِ** " اذ قصد فيه ان رائحة الصوم هي اطيب الروائح على الاطلاق فهي عند الله اعظم مما عند الانسان وان رائحة المسك جزء يسير من خلوف فم الصائم لدلالة "من" على البعضية ثم إتيان التشبيه الضمني في أسلوب غير صريح مما يحتاج الى تأمل و طول نظر ، فاذا ما جاهدت النفس في الوصول الى المعاني كانت كالدليل على مفهومها و تأكيدا لها فتستقر في النفس و تكون اشد علوقا بها فلا تذهب عنها الا بعد امد بعيد[1]

و التشبيه هنا افاد امرا غريبا وهو ان رائحة فم الصائم التي قد تكون عند الكثيرين غير مسنحبة ، و قد يخجل البعض منها هي عند الله اطيب من رائحة المسك و هذا في حد ذاته ترغيب عظيم في الحرص على أداء هذه العبادة و تعظيم امرها

يتبين مما سبق عرضه أن التشبيه (التمثيل) يعد احتجاجيا في الحديث القدسي فهو من ألوان التعبير الأنيق الذي يميل إليه العديد من الناس وقد أضفى على الحديث القدسي إقناعا بتوصيل الفكرة بصورة واضحة خالية من النقص، وذلك بربط بين المشبه والمشبه به وعليه يعد التشبيه آلية حجاجية في نقل المشاهد غير المرئية إلى مشاهد مرئية.

فإن الذي يوفره التشبيه من قوة حجاجية يكون قادرا على إثارة المتلقي وشغل تفكيره، مما يجعله يبحث عن العلاقة التي تجمع بين صورة المشبه والمشبه به وما تحدثه هذه العلاقة التصويرية من أثر في نفس المتلقي تكون حاملة له على الإقناع والقبول بتلك التشبيهات.

[1] - التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف: علي علي صبح، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ،ط1 ،ج1 ،2002 ،ص 87-88 .

المبحث الثالث: حجاجية الكناية.

تعد الكناية من الآليات التي تضطلع بدور فعال في خدمة العملية التواصلية بين المتخاطبين، ويعرف عبد القاهر الجرجاني الكناية بقوله: هي أن يريد المتكلم معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، ويومئ إليه يجعله دليلا عليه.[1]

فهي من وسائل الحجاج الفعالة التي تعمل على التأثير في الآخر وإقناعه، كما أنها تلمح للمعنى دون تصريح ، وتثبت الأدلة بالشواهد العينية لإفهام المرسل إليه وتسهم في تعميق الفكرة وتضفي على المعنى جمالا ورونقا وتؤثر في النفس إنها واد من أودية المبدعين وغاية لا يصل إليها إلا من لطف طبعه وصفت فريحته[2] وتكمن الطاقة الحجاجية لها في تركها للذهن مجالا لإقامة علاقات تؤدي في النهاية إلى الإقناع العقلي بالحقيقة التي يريد المتكلم إثباتها ،فيورها المتكلم بوصفها وسيلة إقناعية، تسهم في اتساع الأفق الإقناعية وحصول الإقناع، فيورد الكناية كطرح فلسفي ومتى ما اكتشفها القارئ اقر بصحة الطرح[3]

وقد وردت هذه الآلية في عدة أحاديث الحديث القدسي سنحاول أن نوضح البعد الحجاجي والإقناعي فيها من بينها:

1/– النموذج الأول:

عن أي زرعة سمع أبا هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وسلم يقول: قال الله عز وجل: « **ومَن أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ شَعِيرَةً.**»[4]

---

[1]– دلائل الإعجاز: مرجع سابق ،ص 40.

[2]– اللسانيات و تطبيقاتها على الخطاب الشعري: رابح بوحوش، دار العلوم، ط1، 2006، ص 184.

[3]– الحجاج وتوجيه الخطاب مفهومه ومجالاته وتطبيقات في خطب ابن نباتة: باسم خيري خضير، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 2019، ص 131.

[4]– الصحيح المسند في الأحاديث القدسية : مرجع سابق، ص 245.

أ–شرح الحديث:

هذا الحديث للنبي صلى الله عليه وسلم وجهه للمصورين فهو يتحدث عن حكم صنعة التصوير والعذاب المتوعد به لصناعتها (تحريم تصوير ذوات الأرواح) فمعنى قوله جل وعلا «من أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي» أي ليس هناك أظلم منه، وهو نحو قوله تعالى «ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيه اسمه وسعى في خرابه "(البقرة: الآية 114.)

أي لا أحد أظلم منه.

وقوله سبحانه وتعالى: «فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو شعيرة» المراد بالذرة: النملة والمراد بالحبة: حبة القمح بقرينة ذكر الشعير أو الحبة أعم[1].

وفي هذا الموضع اللام على سبيل التعجيز والتبكيت تارة بتكليفهم خلق حيوان وهو أشد وأخرى في تكليفهم بخلق جماد، وهو أهون ومع ذلك لا قدرة لهم على ذلك وهو أمر بمعنى التعجيز.

قال الإمام النوي رحمه الله: ومعناه فليخلقوا ذرة فيها روحً تتصرف بنفسها كهذه الذرة التي هي خلق الله تعالى... وكذلك فليخلقوا حبة حنطة أو شعير أي ليخلقوا حبة فيها طعْمٌ تؤْكَلَ وتُزْرَعُ وتَنْبُتُ ويوجد فيها ما يوجد في حبة الحِنطة والشعير ونحوهما من الحب الذي يخلقه الله تعالى... وهذا أمر تعجيز[2] يعني إن كانوا صادقين يريدون أن يضاهوا خلق الله فليخلقوا حبة من طعام ولتكن من البر... لو اجتمع أهل الأرض كلها بل أهل السماء على أن يخلقوا حبة من حنطة فإنهم لا يستطيعون.

إن الخلق في اللغة خلقان: خلق بمعنى الإيجاد والتكوين من العدم، وخلق بمعنى التحويل... والله عز وجل له الخلق المطلق، أي الإيجاد والتكوين الأصلي... وأما الذي يطلق عليه

[1]– الأحاديث القدسية مع شرحها: مرجع سابق، ص 340.

[2]– شرح الأحاديث القدسية: مرجع سابق ص 573.

خالق من دون الله يطلق مجازا فيقال لنجار الذي يصنع طاولة قد خلقها وصنعها ليس معنى ذلك أنه خلقها من العدم.[1]

وقد قال ابن بطال: فهم أبو هريرة: أن التصوير بتناول ماله ظل وما ليس له ظل فلهذا أنكر ما ينقش في الحيطان، قلت: هو ظاهر من عموم اللفظ ويحتمل ان يقصر على ماله ظل من جهة قوله (كخلقي) فإن خلقه ليس صورة في حائط بل خلق تام لكن بقية الحديث تقتضي تعميم الزجر عن تصوير كل شيء.[2]

ويستفاد من الحديث تحريم التصوير وحرمته جاءت لما فيه من محاولة مضاهاة خلق الله عز وجل لذي تفرد وحده بالخلق[3] كما أنه تحد من الله وبيان عظيم قدرته وتعجيز الذي يدعون لأنفسهم الربوبية وينازعون الله أو ينكرون وجوده، لهذا نهى عن التصوير وحرم لأنه طريق إلى الشرك.

لهما عند عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله" ولهما عن ابن عباس: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: كل مصور في النار يُجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم.[4]

فيها مسائل:

1. التغليظ الشديد في المصورين.
2. التنبيه على العلة وهو ترك الأدب مع الله لقوله: "ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي"
3. التنبيه على قدرته وعجزهم لقوله (فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة...)
4. التصريح بأنهم أشد الناس عذابا.

---

[1]- المرجع نفسه ص 573-574.

[2]- فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العقلاني، دار السلام، الرباط، ط 1، 2000، ص 472.

[3]- شرح الأحاديث القدسية: مرجع سابق، ص 574.

[4]- كتاب التوحيد: محمد بن عبد الوهاب، مطابع الفرزدق التجارية مطابع الجامعة، الرياض،(د، ط)،(د، س)، ص 138.

5. أن الله يخلق بعدد كل صورة نفسا يعذب بها المصور في جهنم.
6. أنه يكلف أن ينفخ فيها الروح.
7. الأمر بطمسها إن وجدت.[1]

ب –بلاغة الحديث وطاقته الحجاجية:

في الحديث صورة بيانية وهي كناية في قول النبي عليه الصلاة والسلام (فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو شعيرة" وهي كناية عن صفة (صغر الشيء).

ففي الحديث تحريم التصوير لما فيه ذلك من مضاهاة خلق الله، وقد أراد الله تعالى بهذا التصوير تنبيه المخاطب وحثه على التوبة والاستغفار عن طريق تعجيزه وتحديه للمصورين أن يخلقوا ولو أبسط مخلوق من مخلوقاته كالذرة وهي النملة الصغيرة، او البذرة أو الشعيرة، وكذا عن طريق تحذيره ودفعه إلى ترك ما حرم الله فتحداهم أهم إذا كانوا صادقين فليخلقوا ذرة أو بذرة أو شعيرة.

فاستخدام الرسول صلى الله عليه وسلم للكناية كأسلوب جمالي ليضفي على الألفاظ ويعرض لنا الحقائق عرضا غير مباشر لبيان المعنى المراد، ولها دور حجاجي يكمن في أنها قول أبلغ وحجة أقوى في الدليل على إظهار عجز المصورين.

وقد كان للأسلوب الاستفهامي الاستنكاري قوله "ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي" درجة في جذب انتباه المتلقي نحو مقاصد الخطاب وتهيئتهم للاقتناع ولفت أنظارهم لأهمية الأمر، فتضمن هذا الاستفهام إنكار وتعجب وتوبيخ بل وصل إلى حد التحدي، فكان الغرض منه تنبيه المتلقي حتى يرجع لنفسه ويخجل ويقلع عن هذا ويعي نتائجه.

كما كان الأمر التعجيزي المستحيل التنفيذ الذي يقال للمصورين يوم القيامة بإحياء ما خلقوا وصوروا عنصرا من عناصر إثبات حقيقة الأمر فكان هذا ردعا وتحديا ووعيدا، فإنهم لن

[1]– المرجع نفسه، ص 139.

يستطيعوا نفخ الروح في تصاويرهم يوم القيامة لهذا سيكون عقابهم شديد وعليهم أن يتدبروا ويقلعوا ويتوبوا عن هذا فالتعجيز دال على شدة العقوبة.

فطبيعة الكناية الواردة في الحديث تحمل وظيفة حجاجية لأن الله أراد إقناع المتلقي بعجزه عن الصنعة والخلق وتفرده بها وإنكار الخلق على أحد غيره.

فللكناية دور فعال في المحاججة فهي بمثابة الدليل الذي يلجأ إليه المتكلم لإثبات معانيه وإقناع المتلقي فجاءت هنا على النهي عن وضع التصاوير والدعوة إلى الإقلاع عن هذا بالتوبة أو الوعيد بالعقاب.

فجاءت الحجة في سياق تضافرت فيه أفكار لتحقيق غاية هي الكف عن التصوير إذ كان الاستفهام وسيلة لجلب الانتباه ولفت أنظار المتخاطبين لأهمية الأمر ثم تجاوز هذا إلى تحديهم وتعجيزهم بدعوتهم إلى خلق المثيل.

فربط الحديث تفرد الله وقدرته على الخلق بخلق الحب وإنباته أو بخلق الذرة لتكون صورة محسوسة أي حاول النبي صلى الله عليه وسلم أن يربط تعجيزه بالواقع الملموس ليحدث الإقناع.

فتظهر بلاغة الحجاج بالكناية فقد وظفها الله في هذا التركيب ليوجه سلوك المتلقي إلى ما يريد عن طريق إظهار أن من سوى نفسه بالله في خلقه للتصاوير سوف يطلب منه إحيائها يوم القيامة، وهذا محال فبين تحريم التصاوير انطلاقا من هذا لهذا اعتمد في حجاجه إلى بعض الروابط الحجاجية والضمائر التي تضيف الخلق لله عز وجل وتنفي قدرة هذا على غيره في قوله (كخلق أي الياء) فهي ضمير حال بها إلى ذاته (الله).

وعليه فالكناية تعد حجة قوية توجه المتلقي وتدفعه إلى الاقتناع بما يرمي إليه المخاطب وهو تحريم التصاوير عن طريق أسلوب التعجيز والتحدي.

فينقاد إلى آرائه وأفكاره وعليه يقتنع عقليا ووجدانيا بالحقيقة التي يريد المتكلم إثباتها.

2/-النموذج الثاني:

عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « إذا كان يومُ القيامةِ قامَت ثُلَّةٌ من النَّاسِ يسُدُّونَ الأُفُقَ نورُهم كالشَّمسِ، فيُقالُ النَّبيُّ الأمّيُّ فيتحَسَّسُ لها كلُّ نبيٍّ فيُقالُ: محمَّدٌ وأمَّتُه ثُمَّ تقومُ ثُلَّةٌ أخرى يسُدُّ ما بينَ الأُفُقِ نورُهم كالقمَر ليْلةَ البدرِ فيُقالُ النَّبيُّ الأمّيُّ فيتحَسَسُ لها كلُّ شَيء فَيُقالُ مُحمدٌ وأُمَّتِهِ ثُمَّ تَقُومُ ثُلَّةٌ أُخْرَى يَسُد مَا بَيْنَ الأُفُقَ نُورُهُمْ مِثْلَ كَوْكَبٍ فِي السَّمَاء فَيُقَالُ: النَّبِيُّ الأُمِّيُّ، فَيَتَحَسَّسُ لَهَا كُلُّ شَيء، فَيُقَالُ: مُحَمّدٌ وَأُمَّتُهُ، ثُمَّ يحثى حَثْيتينِ فيُقالُ هذا لك يا محمَّدُ وهذا منِّي لك يا محمَّدُ ثُمَّ يُوضَعُ الميزانُ ويُؤخَذُ في الحسابِ»[1]

أ -معنى الحديث (تم شرح الحديث مسبقا):

هذا الحديث يصف مشهد من مشاهد يوم القيامة، والذي يظهر فيه عظمة وقيمة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأمته أمام الأنبياء الآخرين والخلق جميعا في هذا المشهد، سيظهر ثلاث مجموعات من الناس في يوم القيامة.

- **المجموعة الأولى:** يسد نورهم الأفق كالشمس، فيقال إنهم من أمة محمد صلى الله عليه وسلم
- **المجموعة الثانية:** يسد نورهم الأفق كالقمر في ليلة البدر، فيقال إنهم من أمة محمد صلى الله عليه وسلم.
- **المجموعة الثالثة:** يسد نورهم الأفق كالكوكب في السماء، فيقال عنهم من أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

بعد ذلك سيقوم الله تعالى بإعطاء النبي محمد صلى الله عليه وسلم حثيتين من الخير والبركة، كرامة له وتكريما لأمته، ثم سيوضع الميزان للحساب والجزاء.

[1]- الصحيح المسند في الأحاديث القدسية، مرجع سابق، ص148.

هذا الحديث يصور عظمة محمد صلى الله عليه وسلم وأمته في يوم القيامة حيث سيكونون في مقامات مختلفة من النور والشرف.

ب –بلاغة الحديث وطاقته الحجاجية:

في هذا الحديث صورة بيانية أخرى تمثلت في الكناية في قوله "النبي الأمي" ويقصد به النبي محمد صلى الله عليه وسلم أي كناية عن موصوف (الرسول صلى الله عليه وسلم) وهذه صورة تعبر عن المعنى تعبيرا موحيا فهنا يريد إثبات معنى (محمد صلى الله عليه وسلم) ولم يذكر باللفظ وقدمه في أحسن صورة تعجز الأساليب البيانية الأخرى عن أدائه، والرسول صلى الله عليه وسلم حريص كل الحرص على إيصال مفاهيمه إلى الجميع دون جرح العواطف، أو خدش المشاعر، أو اشمئزاز النفوس وكان الطريق إلى ذلك الكناية، وهنا يبين جانبا من جوانب بلاغته صلى الله عليه وسلم، ومدى الامتزاج بين الوظيفة التهذيبية والجمالية، بغية تحقيق الغاية الدينية، ونلمح هنا أن لفظة الأمي كناية عن موصوف وهو النبي صلى الله عليه وسلم، فالأمية وصف خص الله به من رسله محمد صلى الله عليه وسلم إتماما للإعجاز العقلي الذي أيده الله به، فجعل الأمية وصفا ذاتيا له ليتم بها وصفه فيه عكس ما نجد هذا الوصف عند الآخرين بأنه وصف نقصان، وهذه الصفة انفرد بها الرسول صلى الله عليه وسلم عمن سواه من الأنبياء وهي فضيلة وصفة كمال لأنها تبين صدق نبوته، فقد جاء بالعديد من المعارف والعلوم على الصعيد الديني والدنيوي ويستبعد كونها من بشر أمي إلا أن يكون معتمدا على وحي الله تعالى.

والكناية هنا تعني أنه يتعامل مع النبي المرسل الأمي، وهو عنوان يطلق على النبي محمد صلى الله عليه وسلم في الآيات القرآنية.

بالإشارة أيضا وجود للكناية في قوله "ثلة من الناس يسدون الأفق" وهنا كناية عن صفة كثرة عدد المؤمنين فالمعنى الخفي هنا هو كثرة العدد، فقد كنى كثرة عدد المؤمنين بأنهم يغطون الأفق وهذا للإشارة إلى القوة والتألف الذي تتمتع به هذه الثلاثة من فئات المؤمنين، ووظيفة

الكناية هنا هي التأثير نفس الباث والمتذوق، وهذا التأثير لا يكون بالمعنى الصريح إنما يكون بالمعنى المشار به.

وتعد الكناية عاملا مهما في عملية الإقناع شأنها شأن التشبيه والاستعارة، فتكون الدليل الذي يقدمه الباث لإثبات ما يقوله، فهي إحدى وسائل الإقناع التأثيرية المهمة التي يتأثر بها المتلقي في حال المرسل.

فالكناية في الحديث القدسي لها دور بلاغي فعال لا تؤديه الحقيقة في المعنى، ويكون هذا الدور في إداء المعاني، وأحيانا يكون دورها موجزا في المعنى بواسطة تقليل اللفظ وهذا ما لا تقدر عليه الحقيقة مثلما تقدر عليه الكناية، في المواضع التي وردت فيها الكناية القرآنية،[1] ووظيفتها من الناحية الحجاجية هي التأثير في نفس الباث والمتذوق، وهذا التأثير لا يكون بالمعنى الصريح إنما يكون بالمعنى المشار به.[2]

للكناية في هذا الحديث قوة حجاجية كبيرة تمتاز بقوة الإقناع، وتتجلى هذه القوة من خلال العناصر البلاغية والتصويرية التي تساعد في إيصال الرسالة بفاعلية، وتتجلى هذه القوة في الكناية عن مكانة النبي محمد وأمته في يوم القيامة فوصف نورهم بأنه يسد الأفق كالشمس والقمر والكوكب وهذا يدل على عظمتهم وسمو مقامهم، وكذلك الكناية عن احترام النبيين للنبي محمد فوصف كل نبي بـ "يتحسس لها" يشير إلى تكريمهم له وإقرارهم بفضله، والكناية عن تفضيل الله للنبي محمد فقوله "هذا لك يا محمد وهذا مني لك" تدل على خصوصية محمد صلى الله عليه وسلم وتقديره عند الله.

وأخيرا الكناية عن شمول محمد وأمته للحشر والحساب فذكر الميزان والحساب بعد ذكر محمد وأمته يؤكد أنهم محل اهتمام الله في هذا المشهد العظيم.

---

[1]– البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري: رابح دوب، دار فجر للنشر و التوزيع، القاهرة، ط 2، 1999، ص 335.

[2]– أساليب البيان في القرآن: جعفر الحسيني، مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والارشاد الإسلامي، طهران، (د،ط)،(د،س) ، ص 714.

إن هذه الكنايات تحمل دلالات قوية تؤكد مكانة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأمته في يوم القيامة، مما يشكل حجة دامغة على عظمتهم وتفضيلهم، وهذا يعزز الإيمان والتصديق بما جاء به النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

تكمن حجاجية الكناية في الحديث المذكور في قدرتها على إثارة المشاعر حيث تحفز مشاعر الإيمان والرهبة والخشوع في قلب المتلقي، مما يجعله أكثر تقبلا للرسالة، وتشجعه على التفكير في عظمة الله تعالى وقدرته وفي عظمة رسالة الإسلام، وتسهل عليه الفهم وتساعده على إيصال الرسالة بطريقة سهلة وبسيطة، مما يجعلها مفهومة لجميع الناس.

إذن فالكناية في هذا الحديث تحقق بعدا حجاجيا قويا لإثبات فضل هذه الأمة وتفوقها على سائر الأمم والجماعات، وهذا يخدم الدعوة الإسلامية وتأكيد أفضلية هذه الأمة على غيرها.

3/- النموذج الثالث:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «**إنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ يباهي ملائكتَهُ عشيَّةَ عرفةَ بأهلِ عرفةَ فيقولُ انظروا إلى عبادي أتوني شعثًا غبرًا**».[1]

أ-شرح الحديث:

نستنتج من هذا الحديث أن الله تعالى يعظم ويفخر بعباده الذين يزورونه ويعتنقون العبادة والتقوى يوم عرفة، ففي قوله "إن الله عز وجل يباهي ملائكته عشية يوم عرفة بأهل عرفة"، يعني أن الله تعالى يفتخر بعباده أمام ملائكته، فهذا يدل على مدى رضا الله عن هؤلاء الحُجَّاج وإظهار فضلهم ومكانتهم عنده عشية عرفة، يعني وقت المساء من يوم عرفة، وهو يوم التاسع من ذي الحجة، حيث يقف الحجاج في عرفات يدعون الله ويطلبون مغفرته، وفي قوله "انظروا إلى عبادي أتوني شعثا غبرا" هنا يأمر الله ملائكته بأن ينظروا إلى الحجاج

[1]- جامع الأحاديث القدسية: مرجع سابق، ج 1، ص 226.

الذين جاءوا لعبادته، ليشاهدوا ما قاموا به من تضحيات وجهود في سبيل الله وهم يحملون آثار السفر والتعب والغبار نتيجة للجهود التي بذلوها في طاعة الله والقرب منه.

وفي الأخير نستخلص من هذا الحديث أهمية يوم عرفة في الإسلام وفضله وأن الله تعالى يتفضل على العباد في هذا اليوم ويكرمهم ويرحمهم، ولذلك فإن الحُجَّاج الذين يقضون يوم عرفة في العبادة والدعاء يحظون بمغفرة الله ورضوانه.

ب –بلاغة الحديث وطاقته الحجاجية:

في هذا الحديث صورة بيانية تتمثل في الكناية، ففي قوله (يباهي ملائكته) كناية عن عظمة ومكانة الحُجَّاج عند الله تعالى، والمباهاة هنا تعني الفخر والاعتزاز، وهي تظهر كيف أن الله سبحانه وتعالى يقدر الحُجَّاج ويعّلي من شأنهم بسبب تضحيتهم وإخلاصهم، وكذلك في قوله (شعثا غبرا) كناية عن التعب والسفر البعيد وكلمة شعثا تشير إلى حال الحُجَّاج في يوم عرفة، حيث يكونون في حالة غير مرتبة، وشعرهم غير ممشط، وهذه الكلمة كناية عن انشغالهم الكامل بالعبادة وعدم اهتمامهم بمظهرهم الشخصي، يفهم منها تفرغهم للعبادة، وابتعادهم عن الدنيا وزينتها، وكلمة غبرا تشير إلى أن الحُجَّاج مُغطُّون بالغبار، وهذا يعكس المشقة والتعب الذي يتحمله الحُجَّاج للوصول إلى عرفة، هذه الكلمة كناية عن الجهد والتضحية التي يبذلها الحجاج في سبيل أداء المناسك، والبعد عن الرفاهية.

إذن فالكناية في هذا الحديث لها دلالات بليغة ومعان عميقة حيث تظهر مدى اهتمام الله تعالى وفخره بهؤلاء الحُجَّاج وتبرز عظمتهم وشرفهم في نظر الله، وتوحي بتواضعهم وبساطتهم في العبادة والسفر، وهذا يضفي على الحديث قوة حجاجية كبيرة إذ يؤثر في نفوس السامعين ويدفعهم إلى الاقتداء بهؤلاء الحُجَّاج وتقليد سلوكهم.

فحجاجية الصورة الكنائية تأتي من حيث اعتبار الصورة حجة على المعنى، وقوتها الحجاجية في اعتمادها عمل العقل في استخلاص اللازم من الصياغة[1]، وعن هذا الدور الحجاجي

[1]– دلائل الإعجاز: مرجع سابق، ص393.

يقول عبد القاهر الجرجاني: "فإذا جعلوا للكناية مزية على التصريح، لم يجعلوا تلك المزية في المعنى المكنى عنه، ولكن عمل المجاز هو عمل حجاجي، إذ تعد الصورة حجة ودليل على القضية، فمن قام بإثبات صورة لها فقد قام بإثبات شاهدها ودليلها، وما هو علم على وجودها، وذلك لا محالة يكون أبلغ من إثباتها بنفسها.[1]

وفي هذا الحديث يستخدم النبي صلى الله عليه وسلم الكناية كأسلوب حجاجي فعال لإبراز قيمة المتعبدين والمتوجهين إلى الله تعالى في عرفة.

والكناية هنا تتمثل في وصف الحُجَّاج بأنهم شعث غبر وهو وصف كنائي يشير إلى حال المتعبدين المتذللين لله تعالى، الذين خرجوا من بيوتهم وتركوا زينتهم وراحتهم سعيا لرضا الله وفوزهم بالجنة.

هذا الوصف الكنائي له قوة حجاجية عالية، فهو يظهر مدى إخلاص هؤلاء الحُجَّاج وتفانيهم في عبادة الله تعالى، مما يدفع الله أن يتباهى به ملائكته ويشرف هؤلاء العباد بهذه المكانة الرفيعة.

إذن فالكناية في هذا الحديث تؤدي دورا حجاجيا بارزا في إبراز قيمة المتعبدين والموجهين إلى الله تعالى في يوم عرفة، وتؤكد على شرف هذه المكانة التي خصهم الله بها، وتكمن هذه القوة الحجاجية للكناية في قدرتها على نقل معاني التواضع والزهد والمشقة بطريقة غير مباشرة، لكنها مؤثرة وعميقة، والكناية تجعل الحديث أكثر تأثيرا وتبرز المعاني الخفية التي تعزز من الموقف.

وفي هذا الحديث تبرز قوة الكناية في الإقناع بشكل واضح وذلك من خلال عدة أوجه منها:

البعد التصويري والحسي: إن وصف الحُجَّاج بأنهم "شعث غبر" يحضر في ذهن السامع صورة حسية قوية لحال هؤلاء المتعبدين، مما يزيد من قوة التأثير والإقناع فالسامع يتخيل هذه الصورة ويستشعر مدى تذلل هؤلاء الناس وخشوعهم لله تعالى.

[1]- المرجع نفسه، ص 339.

والبعد التعبيري والبلاغي: يتمثل في أن اختيار هذه الكناية بعناية يظهر براعة النبي صلى الله عليه وسلم في اختيار التعبير الأنسب لإبراز المعنى المقصود فالكناية هنا أبلغ وأوقع من التصريح المباشر، مما يضفي على الخطاب قوة إقناعية أكثر.

البعد الدلالي والتأكيدي: تحمل هذه الكناية دلالات قوية على مدى إخلاص هؤلاء الحُجَّاج وتفانيهم في العبادة، كما أنها تؤكد على شرف هذه المكانة التي خصهم الله بها، مما زيد من قوة الحجة والإقناع.

أما البعد التداولي والتأثيري فاستخدام الكناية فيه يحدث تأثيرا قويا في نفوس السامعين، ويدفعهم إلى التأمل في قيمة هؤلاء المتعبدين وضرورة تقليدهم في الإخلاص والتذلل لله تعالى، وهذا يعد من أهم أغراض الحجاج والإقناع.

إذن فالكناية في هذا الحديث تبزر قوتها في الإقناع من خلال هذه الأبعاد المتعددة، مما يجعلها أداة حجاجية فعالة في إيصال المعنى المقصود وإقناع السامعين به.

مما سبق يتبين لنا أن الكناية لها دور مهم في تغيير الأفكار لدى المخاطب من خلال الانتقال من الكلام (الكناية) إلى المقصود.

فهي جانب فني وجمالي تزيد الحجج قوة وتأثيرا لإقناع المحاجج، تكمن طاقتها الحجاجية في تركها للذهن مجالا لإقامة علاقات تؤدي في النهاية للإقناع العقلي بالحقيقة التي يريد المتكلم إثباتها وقد وضفت في الحديث القدسي لأنها وسيلة برهانية استعملها الله عز وجل لإثبات حججه وإقناع المتلقي بمقصده من الخطاب.

خاتمة

خاتمة:

من خلال ما سبق من الدراسة في هذا الموضوع توصلنا إلى مجموعة من النتائج أهمها:

1-للحجاج معان عدة في المعاجم العربية أهمها القصد، الدليل الغلبة ، كل هذه المفاهيم تخدم غاية واحدة هي محاولة التأكيد ووصول المتكلم الى هدفه التبليغي.

2-الحجاج استراتيجية خطابية وسمة مميزة لكل خطاب مهما كان نوعه ونمطه فلا خطاب دون حجاج.

3-الحجاج فعل لغوي غائي، يتحقق بين ذوات فعالة يسعى المرسل من خلاله حمل المتلقي على الإذعان.

4-الحديث القدسي خطاب إلهي يختلف عن القرآن الكريم والسنة النبوية في كونه لا يفصِّل في قضايا العقيدة أكثر من قضايا الأحكام، فهو لا يتعرض في موضوعه لتفصيل الأحكام الفقهية ولا لتوضيح الشرائع والعبادات كالحديث النبوي، وانما يركز على بناء النفس الإنسانية، وتقويمها وترتيبها على المقاصد الربانية (وعظ وتوجيه ، وتربية).

5-الحديث القدسي خطاب موجه للمؤمنين ذو غاية تعليمية تبليغية لأنه غالبا ما يتعلق بذات الله تعالى وصفاته، فهو دستور الفضائل والأخلاق.

6-الصورة البيانية لها مقاصد حجاجية في الحديث القدسي، فهي تسعى إلى إيصال المعنى المقصود بصورة أبلغ وأوضح وأبين وهو ما لا يتوفر في الكلام العادي ومن أجل جعل المتلقي يصدق الأقوال ويتأثر ويقتنع بها من خلال ما يتم توظيفه من حجج.

7-من خلال تحليلنا للأحاديث القدسية تبين لنا أن الرسول عليه الصلاة والسلام اعتمد على الخطاب الحجاجي البلاغي وذلك بتوظيفه للاستعارة والتشبيه، والكناية التي تعد من أهم آليات الحجاج فالحجاج له علاقة وظيفية بالبلاغة، مما أكسب خطابه القوة في التأثير والإقناع.

8-الصورة البيانية لها مقاصد حجاجية في الحديث القدسي، اذ عدت وسيلة للإيضاح والشرح وتقوية المعنى وتأكيده وهو ما يؤدي الى استمالة المتلقي فكريا، ووجدانيا، وتغيير موقفه الفكري والعاطفي.

9-الحديث القدسي مشبع بالصور البيانية التي كان لها الدور الفعال في عملية إقناع المتلقي، اذ أثرت الصور البيانية في الحديث القدسي، من خلال تأثيرها على الجانب النفسي للمتلقي ودورها البارز عن طريق تجسيد المعاني المقصودة وتقريبها للأذهان.

10- الحديث القدسي حديث حجاجي بالأساس موجه في أساسه للتأثير على أراء المخاطب وسلوكاته واستمالة العقول وتوجيه النفوس، لذلك وظف النبي صلى الله عليه وسلم الأساليب البلاغية وخاصة البيانية.

11-أظهرت هذه الدراسة المطبقة على الحديث القدسي ان الاستعارة تمتلك طاقة حجاجية من خلال ما تمتلكه من قدرة تأثيرية في نفس المتلقي و تحريك لمشاعره و عواطفه ، و حمله على الإقناع بواسطة الانتقال من المجرد و المعنوي إلى ما هو حسي من جهة ، و من جهة أخرى فإنها تستمد صورتها من المحسوس فهي إذن مبالغة في التشبيه مع الإيجاز ، و يتضح هذا من خلال قوله " **صبوا البلاء عليه صبا.....**

فتميزت هذه الاستعارة بطاقة حجاجية غيرت موقف المتلقي اتجاه القضية المطروحة

12-تعد الاستعارة من أبلغ الوسائل الحجاجية فهي أبلغ من الحقيقة إذ اتخذها النبي صلى الله عليه وسلم في إقناع المخاطبين بقدرة الله عز و جل ووحدانيته و قدرته التي لا يحدها حدود من خلال قوله " ان الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها و مغاربها "

13-أظهرت هذه الدراسة المطبقة أن التجسيم و التشخيص من أميز صفات الاستعارة في الأحاديث القدسية، لما فيه من الابتكار و دقة الخيال و تقريب المعاني مالا يخفى على أحد فضلا عن ما يحدثه من اثر في النفس و تحريك للمشاعر خاصة عند ارتباطه بالأشياء الغيبية التي يصعب تصورها بالعقل من ذلك قوله: " تحاجت الجنة و النار،

فقالت النار .... وقالت الحنة ..."فقد شبهت الجنة والنار بالإنسان الذي يتخاصم مع غيره ويحتج في امره.

14-الاستعارة آلية لغوية بلاغية حجاجية سعى المخاطب من خلال توظيفها الى التأثير في المخاطب وتوجيه ذهنه نحو وجهة محددة مستخدما في ذلك سلطة اللغة ، وما تتسم به الاستعارة من تأثير عاطفي وعقلي في متلقي الخطاب.

15-أخذت الاستعارة المكنية الغلبة في الحديث القدسي على غرار التصريحية.

16-يعد التشبيه من الوسائل البلاغية والدعائم الحجاجية لإقناع المخاطب والتأثير فيه فهو آلية توضيحية مقربة للمعنى وذلك بعقد المشابهة والمماثلة بين الأشياء، ومن خلال ربط المشبه بالمشبه به وعليه التشبيه آلية حجاجيه في نقل المشاهد الغير مرئية إلى مرئية، فتقرب لذهن المتلقي المعنى بالتصوير المشابه لكل حجة، مما يجعل الاقناع امرا سهلا فيقتنع بالحجج وتتغير أفكاره.

17-التشبيه من أبرز أساليب الحجاج والإقناع التي استخدمها النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي كمعيار للصدق والدقة في التعبير بالصورة لإبراز المعاني المجردة في صورة حسية رائعة وموجزة لها وقعها في النفس، فقد اتخذت الأحاديث القدسية الطبيعة ميدانا يقتبس منها صور تشبيهاته ويتضح هذا في الحديث الذي بين مكانة الرسول عند الله ومكانة أمته في قوله" نورهم كالشمس .... نورهم كالقمر ليلة البدر، نورهم مثل كوكب في السماء "

18-يكتسي التشبيه البليغ -خصوصا- بعدا حجاجيا لما فيه من دور في توضيح المعنى وتبنيه وتأكيده و نقله من التجريد إلى التجسيد ، و جعل للمشبه هو المشبه به نفسه إضافة إلى ما يمتلكه التشبيه من قدرة على التصوير الحسي للمعنى مما يكسبه التوكيد و المبالغة، كما أن التشبيه محذوف وجه الشبه يمثل بؤرة الحجاج ومناطه ، فالحذف الكلي لا يعني عدم جضوره ضمنيا و هذا ما يدعو المتلقي للبحث و الكشف عنه من خلال ما يمتلكه من كفاية ثقافية و منطقية و هو ما نجده في قوله "**الصيام جنة** " فقد شبه الرسول صلى الله عليه و

سلم الصورة الذهنية الحاصلة بأن الصوم كالدرع الواقي الذي يحمي الصائم من الوقوع في المعاصي فهو ترغيب في الصبر على الصوم و انتظار الجزاء من عند الله .

19-حجاجية التشبيه في الحديث القدسي لم يقتصر على الزخرفة الفنية والجمالية بل تجاوزت ذلك إلى وظائف حجاجية وأصبحت ميزته أنه يجمع بين الاقناع والجمال، إذ يزيد المعنى وضوحا فيقتنع به المتلقي. ذلك أن الصورة التشبيهية يتعاون قوى النفس (الفكر والخيال) في فهمها

20-الكناية لها دور في عملية الإقناع شأنها شأن الاستعارة والتشبيه، فهي بمثابة الدليل الذي يلجأ إليه المتكلم لإثبات معانيه. منها قوله "**ان الله يباهي ملائكته عشية عرفة "فهي إشارة الى مكانة الحجاج وإخلاصهم لعبادة الله كما تؤكد على شرف هذه المكانة وفي نقل معاني الزهد والمشقة فالمتلقي يستحضر هذه الصورة ويقنع بها.**

21-الكناية وسيلة بيانية أبلغ من الإفصاح والتصريح. فحجاجيتها تكمن في عدم الاكتفاء بالمعنى الحقيقي الصريح، بل تبعث المتلقي على البحث عن المعنى المقصود ودفعه نحو استنتاج المعنى الضمني بنفسه حتى يحدث لديه الإقتناع، فما استنتجه لا يمكنه أن يعترض عليه ولا يعمل على تخطئة دعواه وتصوره، فالكناية تعطي الحقيقة مصحوبة بدليلها مثال ذلك قوله: "النبيّ الأُمي " اذ يقصد به النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وقوله: " ثُلة من الناس يسدون الأفق " فهي إشارة إلى مكانة النبي وأمته يوم القيامة.

22-للكناية دور مهم من حيث البعد الجمالي وكذا البعد الإقناعي وتكمن أهميتها في إطلاق لفظ قريب وإرادة به معنى بعيد، على المتلقي أن يعمل عقله للوصول الى المعنى الحقيقي ونعني بذلك ان الكناية اثبات لمعنى لا يعرفه السامع من اللفظ لكن يعرفه من معنى اللفظ. فقد وردت في قوله «**فليخلقوا ذرة او ليخلقو حبة او شعيرة** " فهي كناية تحمل معنى التحريم والنهي عن التصوير كما فيها تعجيز وتحدي.

23-يتضح الأثر البلاغي للكناية وقوتها الحجاجية والإقناعية في معناه الضمني الذي يعمل على شد انتباه المتلقي، لتدفعه الى البحث عن القول المقصود بعيدا عن التكلف وذلك لإثباته وتوضيحه من أجل العمل على إقناعه والتأثير فيه ليصل الى المعنى الحقيقي.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1 – المصادر

1. أبو عبد الرحمان عصام الدين الصبابطي: جامع الأحاديث القدسية، ج1، مج 1، دار الريان للنشر، القاهرة، (د، ط)، (د، س).
2. زكرياء عميرات: الأحاديث القدسية الصحيحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1997،
3. عبد الرؤوف المناوي: الاتحافات السنية بالأحاديث القدسية، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، س)
4. عبد القادر عرفات العشا حتونة: الأحاديث القدسية مع شرحها، دار الفكر للطباعة بيروت، (د.ط)، 2008،
5. عمر علي عبد الله محمد: الأحاديث القدسية جمعا ودراسة، ج1، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ط1، 1425
6. محمد منير الدمشقي: النفحات السلفية شرح الأحاديث القدسية، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، (د، ط)، (د، س)،
7. مصطفى بن العدوي: الصحيح المسند من الأحاديث القدسية، دار الصحابة للتراث، القاهرة، ط1، 1989،

المعاجم:

1. ابن منظور: لسان العرب: تح محمد علي الكبير وآخرون، مج2، دار المعارف، مصر، (د، ط)، (د، س).
2. ابن فارس: مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، ج5، دار الفكر، القاهرة، (د. ط)، 1972،

3. أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج1، مطبعة المجمع العلمي العراقي، العراق، ط1، 1983.

4. أصيل بديع يعقوب: موسوعة علوم اللغة العربية، ج6، دار الكتب العلمية لبنان، ط1، 2006.

5. أميل بديع يعقوب وميشال عاصي : المعجم المفصل في اللغة والأدب، مج 1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 1، 1987.

6. الجرجاني: معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، (د، ط)، 2010، (باب الحاء).

7. الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين، تح: عبد الحميد هنداوي، ج 1، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003.

8. الفيروز آبادي: القاموس المحيط، تح: أنس محمد الشامي، دار الحديث، القاهرة، (د، ط)، 2008.

9. مجدي وهبة كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان بيروت ط2، 1984

10. مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط 4، 2004.

2- المراجع

الكتب

1. ابن حجر العقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار السلام، الرباط، ط 1، 2000.

2. أبو الحسن عبد الله بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، ج 3، دار التراث العربي، بيروت (د، ط)، 1839

3. أبو الوليد الباجي: كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج، تح: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 3، 2001.

4. أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط 1، 2006.
5. أبي هلال العسكري: كتاب الصناعتين، تح: علي محمد البخاري ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية، بيروت، لبنان، ط 1، 2006 م.
6. أحمد أبو حافة: البلاغة والتحليل الأدبي، دار العلم للملايين، لبنان، ط 3، 1996.
7. احمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان و البديع، مؤسسة الهنداوي، (د، ط)، 2019.
8. أحمد حسن الزيات: دفاع عن البلاغة، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1967،
9. أحمد خليل : المدخل إلى دراسة البلاغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، (د. ط)، 1968.
10. أحمد شعيب: الميسر في البلاغة العربية – دروس وتمارين، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2008،
11. أحمد علي دهمان: الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، ج 1، دار طلاس، دمشق، ط1، 1986.
12. أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 3، 1993،
13. أرسطو: فن الخطابة، تح: عبد الرحمان بدوي، الترجمة العربية القديمة، دار القلم، بيروت، (د، ط)، 1979.
14. باسم خيري خضير،: الحجاج وتوجيه الخطاب مفهومه ومجالاته وتطبيقات في خطب ابن نباتة: دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 2019،
15. عبد الشكور معلم عبد فارح: البلاغة الميسرة البيان، المعاني، والبديع جمعه: ، مكتبة السنة الصومال، ط 2، 2021،
16. محمد الطاهر بن عاشور : تحقيقات وأنظار في القرآن والسنة: ، مج 1، دار السلام، القاهرة، ط2، 2008.

17. جابر عصفور: الصور البيانية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 1992،

18. الجاحظ: البيان التبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، جَ1، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د، ط)، (د، س)

19. الجاحظ: كتاب الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، ج3، مطبعة مصطفى اليابي الحلبي، مصر، ط2، 1965.

20. جعفر الحسيني: أساليب البيان في القرآن، مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والارشاد الإسلامي، طهران، (د، ط)، (د، س)

21. جميل حمداوي: من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، دار إفريقيا الشرق، المغرب، (د، ط)، 2014

22. حسن طبل: الصور البيانية في الموروث البلاغي، مكتبة الإيمان المنصورة، ط1، 2005،

23. الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003،

24. دزيرة سقال: علم البيان بين النظريات والأصول، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 1997.

25. رابح بوحوش: اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري، دار العلوم، ط1، 2006.

26. رابح دوب: البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار فجر للنشر و التوزيع، القاهرة، ط 2، 1999،

27. الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ج1، مكتبة نزار مصطفى الباز، (د، ط)، (د، س).

28. سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي في بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2011.

29. سيد القطب: التصوير الفني في القرآن الكريم دار الشروق، ط7، (د، س)،

30. السيد عبد الماجد الغوري: الميسر في علم مصطلح الحديث: دار الشاكر، ط2، 2015

31. سيد مبارك: قبس من الأنوار الربانية في شرح الأحاديث القدسية، المكتبة المحمودية، دار البيان للطباعة، الأزهر، 2000،

32. طه عبد الرحمان: اللسان والميزان او التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998

33. طه عبد الرحمان: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، ط 2، 2000.

34. عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، دار افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، (د، ط)، 2006.

35. عبد العزيز عتيق: علم البيان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، (د، ط)، (د، س)،

36. عبد العزيز قلقيلة: البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، ط3، 1992.

37. عبد الفتاح فيود بسيوني: علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان، ، مؤسسة المختار للنشر، القاهرة، ط4، 2015،

38. عبد القادر القط : الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، مكتبة الشباب، (د، ط)، 1978.

39. عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة في علم البيان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1988.

40. عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تح: مجمد محمود شاكر، مكتبة الأسرة، (د، ط)، (د، س).

41. عبد اللطيف عادل: بلاغة الإقناع في المناظرة، دار الأمان، المغرب، ط 1، 2013،

42. عبد الوهاب بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب مقابلة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، المتحدة بيروت، ط 1، 2001.

43. عبد الرحيم المبار كفوري: تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، مر: عبد الله محمد عمان، ج 1، دار الفكر للطباعة، (د، ط)، (د. س).

44. علوي حافظ إسماعيل: الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج1، عالم الكتب الحديث، إربد (الأردن)، ط 1، 2010،

45. علي الجازم، مصطفى أمين: البلاغة الواضحة، دار المعارف للنشر، (د، ط)، 1999.

46. علي السكاكي: مفتاح العلوم، تع: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1987.

47. علي عبد الباسط مزيد: تيسير مصطلح الحديث وعلومه، مكتبة الجامعة الأزهرية، مكتبة الإيمان، ط1، 2011.

48. عمار إسماعيل أحمد: الكناية في الحديث النبوي الشريف في صحيحي البخاري ومسلم، دار الكتب العلمية، (د، ط)، 2020.

49. فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفنانها: علم البيان والبديع: دار الفرقان للنشر، الأردن، ط11، 2007،

50. محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي ، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1986.

51. قائد الحاشري: تسهيل البلاغة، دار الإيمان، الإسكندرية، (د، ط)، 2006.

52. مثنى كاظم صادق: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي (تنظير وتطبيق على السور المكية)، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2015

53. محتار هانية: البلاغة النبوية: دراسة بيانية في الأحاديث الأربعين النوية، تحرير أندي محمد أكمل تح: زين الدين المعابدين، مطبعة جامعة علاء الدين، (د، ط)، (د، س)،

54. محمد أحمد قاسم، محي الدين ذيب: علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، المؤسسة الحديثة، لبنان، ط 1، 2003.

55. محمد الصباغ: الحديث النبوي مصطلحه بلاغته كتبه، المكتبة الإسلامية بيروت، ط 4، 1981.

56. محمد الطاهر ابن عاشور: تحققات وانظار في القران الكريم، دار سخنون، تونس، ط2، 2008

57. محمد الطحان: تيسير مصطلح الحديث، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 2010.

58. محمد بن عبد الوهاب: كتاب التوحيد، مطابع الفرزدق التجارية مطابع الجامعة، الرياض، (د، ط)، (د، س)،

59. محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة –بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008

60. محمد طاهر اللادقي: المبسط في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، بيروت، (د، ط)، 2005،

61. محمود المصري: شرح الأحاديث النبوية، مكتبة الصفا للنشر والتوزيع ، 2016، (د،ط)

62. مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مكتب رحاب، الجزائر، (د، ط)، (د، س)،

63. مناع خليل القطان: مباحث في علوم القران، مكتبة وهبة، القاهرة، ط7،

64. نور الدين عتر في ظلال الحديث النبوي (ومعالم البيان النبوي)، ط 1، دار السلام للصناعة، القاهرة، 2013،

65. مسعود بودوخة: البلاغة العربية بين الامتاع والإقناع، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2018،

66. يوسف أبو العدوس: مدخل إلى البلاغة العربية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2007.

المذكرات:

1. ابتسام بن خراف: الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة، دراسة تداولية أطروحة دكتوراه، جامعة باتنة، 2009-2010.

2. عيسى بربار: البعد التداولي في العملية التواصل، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه وهران، جامعة أحمد بن بلة، 2015، 2016.

الدوريات والمجلات

1. أيمن أبو مصطفى الحجاج ووسائله البلاغية في النثر العربي القديم، سلسلة الرسائل الجامعية النابغة، (د، ط)، (د، س).

2. حورية عميروش: حجاجية الصور الفنية في الحديث النبوي، دراسات لسانية، جامعة الجزائر، ع08، مج 2، مارس 2018.

3. خالد بن موسى الحسني الزهراني: القرآن الكريم والحديث القدسي حقيقتهما –الفرق بينهما، مجلة الدراسات الإسلامية والبحوث الأكاديمية، جامعة الباحة، ع96.

4. سعد فجحان الدوسري: البيان النبوي وأثره على علوم العربية قبل القرن السابع الهجري، حوليات كلية أصول الدين، جامعة الكويت، ع 33.

5. شهيرة برباري: بلاغة الصور البيانية في الحديث النبوي قراءة في نماذج من صحيح البخاري، مجلة إشكالات في اللغة والادب، الجزائر، ع2، مج 12، يونيو 2023.

6. صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية اصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والادب، الكويت، اشراف احمد مشاري العدواني، 1990.
7. العربي الذهبي: الخيال والمشابهة في البلاغة العربية، فكر ونقد مجلة ثقافية شهرية، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، السنة الثانية، ع17، مارس 1999.
8. – علي علي صبح : التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف ،المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ،ط1 ،ج1 ،2002.
9. عمامرة فاطمة : الاستدلال الحجاجي وآليات اشتغاله في كتاب غاية المرام في شرح مقدمة الإمام لابن زكري التلمساني: مجلة الإشعاع، الأغواط، الجزائر، ع 05، ديسمبر 2015.
10. فاطمة محمد: النجار دراسة بلاغية نبوية مختارة، مجلة الزهراء، ع 29.
11. محمد سويرتي: اللغة ودلالتها، تقريب تداولي للمصطلح البلاغي، عالم الفكر، الكويت، ع 3، مج 28، 2000.
12. هاجر مدقن: آليات تشكل الخطاب الحجاجي بين نظرية البيان ونظرية البرهان: مجلة الأثر، الجزائر، ع 05، 2005.
13. علي علي صبح : التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف ،المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ،ط1 ،ج1 ،2002.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الشكر والعرفان

مقدمة:.....أ

مدخل

بلاغة التعبير النبوي

1- أسلوب التعبير النبوي:.....8

2- التصوير في الحديث النبوي: 10

3- في بيان مفهوم الحديث القدسي:..... 13

3-1-تعريف الحديث القدسي لغة واصطلاحا:..... 13

3-2-الفرق بين الأحاديث القدسية والقرآن الكريم والأحاديث النبوية: 17

3-3-أهم الكتب في موضوع الحديث القدسي:..... 20

الفصل الأول:

الحجاج وآلياته البلاغية

المبحث الأول: الحجاج لغة واصطلاحا 24

تمهيد: 24

1- مفهوم الحجاج لغة : 24

2- مفهوم الحجاج اصطلاحا:..... 25

المبحث الثاني: عند العرب والغرب حديثا وقديما..... 26

1- الحجاج في الفكر العربي:..... 26

1-1- قديما :..... 26

2-1 حديثا: 28
2- الحجاج في الفكر الغربي..... 31
2-1 قديما:..... 31
2-2 حديثا: 33
المبحث الثالث: أنواع الحجاج..... 34
1-أنواع الحجاج بحسب الصفة (باختلاف أصولها وامتداداتها المعرفية والمنهجية) 34
1-1 الحجاج البلاغي:..... 35
1-2 الحجاج الفلسفي:..... 35
1-3 الحجاج التداولي:..... 35
2- أنواع الحجاج من حيث حالات الخطاب:..... 36
2-1 الحجاج التقويمي: 36
2-2 الحجاج التوجيهي:..... 37
2-3 الحجاج لتجريدي: 37
المبحث الرابع: الآليات البلاغية الحجاجية:..... 38
1-مفهوم الصورة..... 38
1-1 تعريف الصورة لغة:..... 38
1-2 الصورة اصطلاحا:..... 39
2-مفهوم البيان 40
2-1 البيان لغة:..... 40

2-2 اصطلاحا:..... 41

3-تعريف الصورة البيانية:..... 42

3-1 عند القدماء: 42

3-2 عند المحدثين: 43

4-أقسام البيان:..... 44

4-1 مفهوم الاستعارة: 44

4-1-1- أركان الاستعارة:..... 45

4-1-2 أقسام الاستعارة:..... 45

4-2 التشبيه:..... 48

4-2-1 أركانه:..... 49

4-2-2 أنواع التشبيه: 50

4-3- الكناية:..... 56

4-3-1 أقسامها:..... 57

الفصل الثاني

حجاجية الصورة البيانية للحديث القدسي -دراسة تطبيقية-

توطئة:..... 60

المبحث الأول: حجاجية الاستعارة:..... 60

1/- النموذج الأول :..... 61

أ- شرح الحديث:..... 61
ب-بلاغة الحديث وطاقته الحجاجية: 63
2/- النموذج الثاني: 66
أ- شرح الحديث:..... 66
ب-بلاغة الحديث وطاقته الحجاجية: 67
3/- النموذج الثالث:..... 71
أ/- شرح الحديث:..... 71
ب/- بلاغة الحديث وطاقته الحجاجية: 72
4/- النموذج الرابع:..... 75
أ-شرح الحديث:..... 75
ب -بلاغة الحديث وطاقته الحجاجية: 75
5/- النموذج الخامس: 78
أ-شرح الحديث:..... 78
ب -بلاغة الحديث وطاقته الحجاجية: 79
ج - بلاغة الحديث وطاقته الحجاجية في الصورة البيانية الثانية : 82
6/- النموذج السادس: 85
أ-شرح الحديث:..... 86
ب -بلاغة الحديث طاقته الحجاجية: 86
المبحث الثاني: حجاجية التشبيه..... 89

1/-النموذج الأول:..... 90

أ-شرح الحديث:..... 90

ب -بلاغة الحديث وطاقته الحجاجية:..... 91

2/-النموذج الثاني:..... 94

أ-شرح الحديث:..... 95

ب -بلاغة الحديث وطاقته الحجاجية:..... 95

المبحث الثالث: حجاجية الكناية..... 99

1/- النموذج الأول:..... 99

أ-شرح الحديث:..... 100

ب -بلاغة الحديث وطاقته الحجاجية:..... 102

2/-النموذج الثاني:..... 104

أ -معنى الحديث (تم شرح الحديث مسبقا):..... 104

ب -بلاغة الحديث وطاقته الحجاجية:..... 105

3/- النموذج الثالث:..... 107

أ-شرح الحديث:..... 107

ب -بلاغة الحديث وطاقته الحجاجية:..... 108

خاتمة:..... 112

قائمة المصادر والمراجع..... 118

فهرس المحتويات..... 128

ملخص:

يعد الحِجَاج نظرية حديثة واسعة من أهم نظريات التداولية درست في جانبين: جانب تداولي وجانب بلاغي، حيث تتجاذبه حقول معرفية مختلفة كاللسانيات، المنطق والبلاغة وقد احتل منذ القدم أهمية كبيرة عند علماء البلاغة مستعملينه لتأصيل مختلف الظواهر البلاغية اعتمادا على الأساليب المساعدة على تذوق ذلك العمل الإبداعي فجاء هذا البحث ليعالج موضوع حجاجيه الصور البيانية في الحديث القدسي نماذج مختارة.

وكون الحِجَاج ممارسة منبثقة من بلاغة تطبيق الآليات. قمنا في هذا البحث بالكشف عن بلاغة الصور الفنية في الحديث القدسي (استعارة، تشبيه، كناية) واستخراج طاقتها الحِجَاجية التي من خلالها تظهر قوة الصورة الفنية في الإقناع والتأثير وحمل المتلقي على الإدغان والتصديق والتسليم، وذلك لأن الحديث النبوي بشكل عام والحديث القدسي بشكل خاص ينهض في لغته على أساس الإقناع والتأثير فهو خطاب حجاجي بالأساس موجه إلى العقل والوجدان بقصد الإقناع والتأثير واستمالة العقول والتوجيه الديني توجيها يجعله مقتنعا بها. ودفعه الى تغيير المعتقدات والسلوكيات الخاطئة وذلك بالنصح والإرشاد والترعيب والترهيب، فقد جاء هذا البحث مكونا من مدخل وفصلين، إذ تناولنا في المدخل أسلوب التعبير النبوي وكذلك التصوير في الحديث النبوي ، والتعريف بالحديث القدسي والفرق بينه وبين القرآن من جهة وبين الحديث النبوي من جهة أخرى أما البحث في فصله الأول المعنون بالحِجاج وآلياته البلاغية فقد تطرقنا فيه إلى مفهوم الحجاج والدراسات العربية والغربية له قديما وحديثا كما تناول الفصل الأول أنواع الحِجاج، وتعريف الصورة البيانية عند القدماء والمحدثين وأقسامها(استعارة، تشبيه، كناية)، أما الفصل الثاني فكان بعنوان حجاجيه الصور البيانية في الحديث القدسي دراسة تطبيقية تضمن تطبيق على نماذج مختارة من الحديث القدسي والكشف بلاغة الصور البيانية فيها واستخراج طاقتها الحِجَاجِية، إذن هذه المدونة تنوعت بمختلف الصور البيانية كالاستعارة التشبيه والكناية وذلك لما لها من دور فعال في الإقناع والتأثير فهي لم تعد شكلا أسلوبيا او نوع من أنواع الزخرفة بل أصبحت من آليات الحِجَاج.

الكلمات الافتتاحية: الحِجَاج، الحديث القدسي، الصورة، البيان، الصور البيانية، التشبيه، الاستعارة، الكناية.

Abstract

Argumentation is considered a broad modern theory, one of the most important theories of pragmatics. It has been studied in two aspects: a pragmatic aspect and a rhetorical aspect, as it is attracted by different fields of knowledge such as linguistics, logic, and rhetoric. Since ancient times, it has occupied great importance among rhetorical scholars, using it to establish various rhetorical phenomena based on methods that help to savor that creative work. This research came to address the topic of the argumentation of graphic images in the Holy Hadith, as selected examples.

The fact that pilgrimage is a practice emerges from the eloquence of applying mechanisms. In this research, we have revealed the eloquence of artistic images in the sacred hadith (metaphor, simile, metaphor) and extracted their argumentative energy through which the power of the artistic image is revealed in persuasion, influence, and getting the recipient to believe, believe, and submit. This is because the prophetic hadith in general and the holy hadith in particular advance In its language, it is based on persuasion and influence. It is essentially an argumentative speech directed to the mind and conscience with the intention of persuading, influencing, winning over the minds and providing religious guidance that makes one convinced of it. And pushing him to change wrong beliefs and behaviors through advice, guidance, intimidation, and intimidation. This research consisted of an introduction and two chapters, as we discussed in the introduction the method of prophetic expression as well as the depiction in the prophetic hadith, and the definition of the holy hadith and the difference between it and the Qur'an on the one hand and the prophetic hadith on the other hand. In its first chapter, entitled Pilgrimage and its Rhetorical Mechanisms, we discussed the concept of pilgrims and Arab and Western studies of it, ancient and modern. The first chapter also dealt with the types of pilgrims, and Definition of the graphic image according to the ancients and moderns and its sections) metaphor, simile, metaphor)As for the second chapter, it was entitled The Arguments of Graphic Images in the Holy Hadith, an applied study that includes application to selected models of the Holy Hadith, revealing the eloquence of the graphic images in them, and extracting their argumentative energy. Therefore, this blog varied with various graphic images, such as metaphor, simile, and metonymy, because of their effective role in persuasion and influence. It is no longer a stylistic form or a type of decoration, but rather a mechanism for pilgrims.

Keywords: Argumentation, Holy Hadith, image, statement, graphic images, simile, metaphor, metonymy.